



# مراجعة كتابات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

محرم 1441 هـ - سبتمبر 2019 م

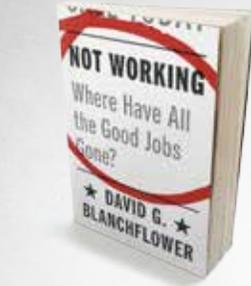
## الصفحة الأولى...

### هلال الحجري

من الشعراء الذين نلمس أثر الثقافة العربية في قصائدهم ريتشارد مونكتون (لورد هاوتن) Richard Monckton Milnes (1809-1885). شاعر وأديب وسياسي إنجليزي. ولد في لندن، وتلقى تعليمه بكلية ترينيتي في كامبريدج سنة 1827. وهناك التحق بمجموعة أدبية تسمى «نادي الرسل»، وأصبح عضوا شهيرا بها. سافر إلى الخارج وقضى بعض الوقت في جامعة بون، ثم ذهب إلى إيطاليا واليونان، ونشر في عام 1834 كتابا يصف رحلاته. له نص رائع بعنوان «طفولة محمد» يصف فيه حادثة شق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاءت في بعض كتب الصحاح مثل البخاري؛ حيث ورد في كتاب «مناقب الأنصار» رواية لحديث طويل عن أحداث الإسراء والمعراج رواه «هدبة بن خالد» عن «همام بن يحيى» عن «قتادة» عن «أنس بن مالك» عن مالك بن صعصعة، جاء في مطلعته أن النبي محمد عليه السلام حدث أصحابه عن ليلة أسري به، فقال: «بينما أنا في الحطيم، وربما قال في الحجر مضطجعا؛ إذ أتاني آت... فشق ما بين هذه إلى هذه - أشار من ثغرة نحره إلى شعرته - ... فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا، فغسل قلبي، ثم حشي، ثم أعيد...». وكذلك جاءت الرواية بألفاظ مختلفة عن أنس بن مالك وأبي ذر الغفاري.

### طفولة محمد

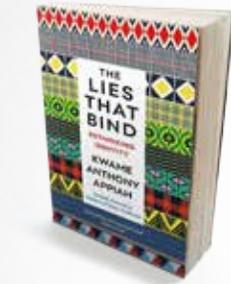
من الخيمة الغراء جاءت به طفلا ×× إلى القفر ترعاه مربية فضلى جسور حمتها العزب ماخاف قلبها ×× غريبا حوته اليد من صخرها ليليا إلى أن رأت من جاء للطفل فجأة ×× ملاكين، فارتامت، يصونانه نبلا ثيابهما بيضاء كالشمس أشرقت ×× ووجهاهما الشعري، سهيل إذا هلا صموتين قد جاء إليها وإن رأت ×× بعينيهما سحرا يقول لها أهلا كما تحمل الأم الرؤوم رضيعها ×× حواه ملاك فاحتوى رقة جدتى وشق بسكين من التبر صدره ×× ولا ألم، لكنه قلبه جلى فغمرة دنيانا تصيب قلوبنا ×× بداء عضال يأكل الجسم والعقل ومن يده البيضاء صب قرينه ×× على قلبه نورا به الشر قد وثى وهذا شفاء معجز، أفة الفتى ×× تلاشت به، والقلب أبيض ما اعتلا بجذ اهتمام أسلماه لظنره ×× وقد ضمدا جرحا يباركه المولى على حاجبيه قبلاه، وقد أتت ×× به قومها لا تعرف الختم والأضلا كذلك نقى الله قلب محمد ×× من الإثم، واستصفاه من خلقه فضلا



• لا يعمل: أين ذهبت كل الوظائف الجيدة؟  
• ديفيد بلانشفلور



• الله رب الجميع والناس كلهم عياله • علم الثروة...  
• أسقف آذن  
• هاينريش موسينغوف



• الأكاذيب التي تربطنا  
• كوامي أنتوني أيبا



• عزلة البابا فرنسيس  
• ماركو بوليتي



• عولمة الروحانية  
• فلاديمير دوبرينكوف



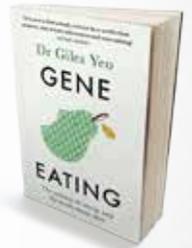
• مدينة المستقبل.. كيف نريد أن نعيش؟  
• روبيرت كالتنبرونر وبيتر ياكوبوفسكي



• عملية الإصلاح الاقتصادي في الصين  
• وو جينج ليان

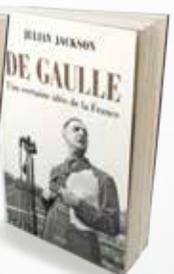
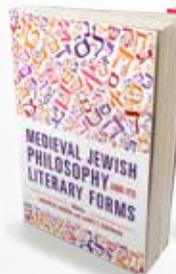


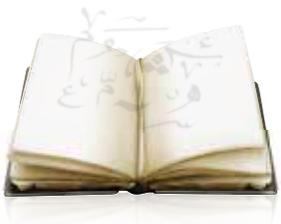
• التكنولوجيا والأخلاق والسياسة  
• مجموعة مؤلفين



• الأكل الجيني  
• يو جيليس

## إصدارات عالمية جديدة





## الله رب الجميع والناس كلهم عياله أسقف آخن هاينريش موسينغهوف

### محمد الشيخ \*

ثمة الحوار بين الأديان على طريقة علماء الكلام؛ أي على طريقة المناظرة. وثمة الحوار بين الأديان على طريقة التعايش المشترك بين معتنقي مختلف الأديان. لكن، ثمة حوارا بين الأديان آخر، وهذه المرة يكون بالفن: حوار الكلمة الهادفة (أسقف آخن الكاثوليكي هاينريش موسينغهوف) والخط الجميل (الخطاط الباكستاني شهيد). ولعل كتاب أسقف آخن الكاثوليكي قد شمل كل أنواع الحوار تلك. على أنه أحق شيء ينطبق عليه أن يندرج في الخانة الثالثة.

ويذكر الأسقف بكنيستته التي استضافت ممثلي الديانات الكبرى العالمية بغاية الصلاة من أجل السلام. كما يذكر بتواجد المسلمين في إكس-لا شابيل ... فضلا عن هذا، يذكر بصلة المسيحية ببقية الأديان التي كانت قائمة على التبادل، والتي حدث فيها منعطف بعد المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥) الذي دعا إلى احترام كل الأديان، باعتبار أن للشخص الحق في حرية الدين، وأن هذه الحرية تدخل في صلب كرامة الإنسان. وقد بنيت قرارات المجلس على مبدأ أن شعوب البشرية كلها إنما تشكل أمة واحدة، وأن كل البشر يتوجهون إلى الرب، وأنهم ينتظرون من الأديان أن تجيبهم عن لغز الوجود البشري. ثم يخلص المؤلف، في القسم الثاني من خطابه، إلى ما ينتظره المسيحيون من الحوار، وما ينتظره المسلمون. ذلك أن الحوار الحق يقتضي القناعة والانفتاح. وللكاثوليكيين آمال عدة من هذا الحوار: التضاهم المتزايد، وتفهم المسلمين لبعض عقائد المسيحيين على أساس من الاحترام والتسامح المتبادل، والانصرار على تحديات التعايش العملي (مسألة بناء الكنائس كما تبني المساجد بالغرب، وأن تمسي خطبة الجمعة بلسان بلد الإقامة). واحترام الأقليات الدينية في العالم الإسلامي، ودعوة علماء الإسلام إلى نشر ثقافة محبة وتفاهم وعدم عنف، وأكثر من هذا: ثقافة احترام متبادل. أما ما يمكن أن ينتظره المسلمون، فإنه رغم كل الجهود المبذولة بالغرب عامة وألمانيا خاصة للانفتاح على فهم منصف للإسلام، فإن الطريق لا زال يحتاج إلى بذل جهد أكثر في تخصيص مساهمات أكبر للتعريف بالإسلام ...

#### كلنا عيال إبراهيم:

يعرض المؤلف في هذا البحث إلى الحضور الإسلامي في ألمانيا. ويعود به إلى أوائل الأسرى المسلمين زمن الحرب ضد الاجتياح العثماني لجهة فيينا، كما تدل على ذلك نقوش تعود إلى عامي ١٦٨٩ و١٦٩١، فضلا عن بعض التديونات الواردة في دفاتر الكنيسة وفي الحوليات. ونعثر زمن بداية الحرب العالمية الأولى على أسرى مسلمين كانوا يحسبون على قوات الحلفاء، وذلك بالقرب من برلين. وفي عام ١٩١٥، أقيم مسجد من خشب في وويسدروف، وكان أول مسجد يقام بأرض ألمانيا. وفي ما بين الحربين العالميتين، نقضت أتر ٢٠٠٠ طالب ولاجئ مسلم، لا سيما من الطائفة الأحمدية الذين بنوا مسجد ويلمرسدورف

بالمسؤولية. ذلك أن المسلمين والمسيحيين يتصورون اليوم الآخر بحساباته يوم مساءلة ومحاسبة. وليس معنى هذا أن علينا أن نرتعب من يوم الحساب، وإنما بالضد علينا أن نتشجع على تحمل مسؤولياتنا: العيش تحت مراقبة رب عادل وعلى رجاء عدالة أخيرة للجميع. تفيد «إياك نعبد» أننا لسنا «عبيدا» لأي كان. و«إياك نستعين»: أن نؤمن معناه أن نفهم بأن الله يفعل، لكن أن نعلم أيضا أننا نفع. لكن كيف تنتظم الصلة بين فعل الله وفعلنا؟ ما كان الأمر بقضية حسابية: كم يفعل الرب وكم نفع نحن؟ وإنما هي قضية تناغم: تفاعل بين أفعال الرب وأفعال البشر. «اهدنا الصراط المستقيم»: حين يتحدث القرآن عن «الهداية»، فإنه يفعل ذلك باستعجال وبجدية؛ لأنه يتحدث إلى أناس خبروا مخاطر التيه في الضياع، ويحتاجون إلى من يهديهم. لكن، ما هو هذا الصراط؟ ما أماراته؟ «صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين»: في ظل مخاطر تصحر اليوم، تطرح مسألة الهداية: ترى، أين أنا الآن؟ وإلى أين أريد أن أذهب؟

ويختم الأسقف بالقول: بمثل هذا التدبر لسورة الفاتحة، يمكن للعديد أن يتساءلوا: أو بعد هذا الذي قرأناه، ترى هل سيتحول الأسقف الكاثوليكي إلى الإسلام؟ وجوابه: لا، إنما أردت أن ألفت الانتباه إلى السلطان الروحي الموجود في القرآن والذي نحتاج إليه في زمننا هذا، وإلى الجمال الذي يوجد في القرآن.

بين الحرب والسلام: تلاقي الأديان والثقافات في خطبة له بمناسبة الصلاة من أجل السلام، يرى الأسقف أننا عندما نصلي من أجل السلام، فإننا نلتفت نحو الرب الواحد. وما كان الرب رب هذا الدين أو ذاك. وإنما الرب هو الرب، هو رب كل الشعوب، يريد خلاص كل البشر، ويهتم بكل الناس، ويحب كل العالم. هو رب للناس أجمعين، ونحن عياله. وهكذا، فإنه عندما يصلي ممثلو كل الأديان على هذه الأرض للرب من أجل السلام، فإنهم يفعلون ذلك وقد تبينوا تصورات مختلفة عن الرب وسلوكا طرقا قديدا في عبادته. فليس تجمعنا هذا يهدف إلى صهر كل الأديان في بوتقة واحدة، وإنما يسعى إلى الاحترام المتبادل حول ما يجمع بيننا وما يشاقق.

#### التحادث بين المسلمين والمسيحيين:

هذه محاضرة كانت قد ألقىها بجامعة السلطان قابوس في مسقط عام ٢٠١١ بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

وكيف لا يكون الأمر كذلك، ولا غرابة أن تكون أيقونة فنية قد أرخت لأوائل أشكال الحوار الديني المطلوبة؛ إذ يبدو أن أهم لقاء مثير بين الإسلام والمسيحية تم في عام ١٢١٩ بدمياط بين القس الإيطالي الشهير القديس فرانسوا الأسيزي والسلطان الكامل الأيوبي. كان القديس يريد إعلان خاتمة الحملات الصليبية وقد قدم إلى معسكر زعيم المسلمين أمزل، حيث دار حديث صداقة محترم بينه والسلطان. وقد رسمت أيقونة للقاء الرجلين (سويسرا). كما تم العثور على مخطوطة صلاة لهذا القديس تحضر فيها أسماء الله الحسنى المذكورة في القرآن، وهي لا زالت تستعمل عند الكاثوليك في ترتيل محامد الرب. وبهذا يكون القديس فرانسوا الأسيزي هو الراعي الأول للحوار بين الأديان.

#### فاتحة الكتاب:

«الله جميل يحب الجمال»: عبرت الثقافة الإسلامية تعبيراً حماسياً عن «جلال» الله وعن «جمال» مخلوقاته في مرويات عدة. ثمة عادة إسلامية في عدم تمثيل الله والأنبياء تمثيلاً فنياً قد دفعت المسلمين إلى تطوير أشكال للفن مستقلة. وذاك هو فن الخط العربي الذي وعى به المسلمون وعيا رائعا في تجربة مع القرآن جمالية المنحى. وقد تجلى الله جمالياً في التراث الإسلامي عدة تجليات:

أ. تجلى في جماليات ترتيل القرآن في حياة المسلم اليومية.  
ب. يخبر المسلمون جمالية الرب هذه المسألة في الصلاة، لا سيما منها صلاة الجمعة.  
ج- ألهم منع تمثيل الله في صور الخيال المسلم باللجوء إلى فن الخط والتزيين، حيث بلغ المسلمون بهذين الفنين شأوا عظيما.  
قراءة في فاتحة القرآن:

يدرج المؤلف قراءته للفاتحة ضمن ما يسميه «لتدبر». وهو تدبر يهدف إلى أمرين: أن يطلع النصارى على جمال القرآن وعن عمقه الروحيين، وأن يفتح قلوب النصارى وقلوب المسلمين الذين يعيشون بين ظهرائهم لفهم أفضل للاعتقاد في الله. ثم يأتي المؤلف إلى «الحمد لله رب العالمين»، ويقابلها من اليهودية: «يا هذا، لا تحسد أحدا». وهي شهادة على أن في ذاتي رغبة وطمعا، أعود إلى نفسي فأحمد الرب على كل شيء. وبه تبين الفاتحة عن خلوص المحبة لله ... وبما أن الله رب العالمين، فهذا يعني ألا أطمع في أن أملك شيئا وإلى الأبد، وألا أترك للأخرين شيئا ... «مالك يوم الدين»: في هذا دعوة إلى الشعور



وبالحروب الصليبية والمعارك التي شهدتها ضفتا البحر الأبيض المتوسط وبمساعي الهيمنة التي بذلت شرقا وغربا، وتساءل معاليه عن التصرف العادل القائم على رؤية مفتوحة لعالم جديد يشمل البشرية جمعاء بلا تفرقة؛ أو في مسقط (٢٤ أكتوبر ٢٠١٣) حيث تحدث عن تأثير الديانة على القرارات الإستراتيجية، لا سيما منها العالمية، وعن العلاقات بين الدين والدولة، وعن بروز القومية والنظام العالمي، حيث نبه معاليه على الخلط القائم بين الدولة الوطنية وديانة الدولة، وعودة الجهد الهيميني، وذكر أن الأديان تبقى قوة مهمة في المعركة من أجل تحقيق المثل العليا. وقد ختمت هذه الخطبة، في ٢٣ سبتمبر ٢٠١٤، بمحاضرة الأكاديمية اللاتينية بمسقط حول القيم المعترف بها والسياسة الدينية؛ بحيث طرح الوزير رؤية استراتيجية جيو-سياسية مشتركة للسعي نحو المستقبل.

#### ٧- الحوار يقتضي التبادل

هذا الفصل عبارة عن تذكير بجهود البابا يوحنا بولس الثاني من أجل الحوار بين الإسلام والمسيحية، وذلك بالوقوف عند التآلفات بين العقائد والتخالفات أيضا دون مواربة. ويورد بالنص خطاب البابا للشباب المغربي المسلم في ملعب بالدار البيضاء (٢٠ أكتوبر ١٩٨٥)، كما يورد خطابه الكوني في روما ٥ مارس ١٩٩٩. وكلا الخطابين يدور على مجريات الحوار الديني البيئي ومقتضياته، وهما يدعوان معا إلى الوقوف على ما يجمع بين المسلمين والمسيحيين دون المواربة على ما يفرق بينهما ويميز.

#### على سبيل الختم:

في النهاية، يعلن المؤلف عن الغاية مما يسميه «كُتَيْبِي هذا»: المساهمة في إشاعة روح السلم بين الشعوب والعقليات، بين الدول الفقيرة والمتطورة، بين الأهالي والمهاجرين، بين الأسر والجماعات الاقتصادية والمهنية، بين الأديان وسائر المعتقدات، بين الجماعات الإيديولوجية والعلمانية. وهو يريد أن تختفي المخاوف والتوجسات. التي عادة ما تستعمل كأسلحة فتنة. داخل المجتمع الألماني بين أهل البلد والجماعات ذات الأصول الإسلامية. يتعلق الأمر عندنا بأمنية أن نحيا حياة جماعية على نحو سلمي ومتسامح، قائم على التقدير والاحترام والتضامن والتفاهم. ذلك أنه عادة ما يجعل تنوع اللغات والسلوكيات وأساليب العيش والخصوصيات الثقافية عملية التواصل معقدة.

#### عنوان الكتاب:

اللَّهُ رب الجميع والناس كلهم عياله  
اسم المؤلف: هاينريش موسينغهورف  
دار النشر: أينهارت- فيرلاغ  
سنة النشر: ٢٠١٩  
بلد النشر: ألمانيا  
لغة النشر: ألمانية/إنجليزية

\* أكاديمي مغربي



بلده وعلى المنحى التسامحي الذي انتهجه سلطان البلاد.

ب. عناصر رؤية أعمق للحوار والتأزر الديني:

يرى الأسقف أن الشيخ السالمي يقترح على أتباع الديانات الإبراهيمية. تلك الديانات التي تشترك في الدعوة إلى رب واحد. أن يبادروا إلى تشكيل قوة معنوية. أخلاقية. خاصة في عالمنا الذي يشكلون فيه أكثر من النصف. ذلك أن هذه الديانات التوحيدية تتقاسم قيما موحدة وتتشاطر معتقدات مشتركة تصلح لكي تشكل أساس أخلاقية كونية يشجع عليها الشيخ أيما تشجيع. على أنه ليس يدعو، كما قد يمال إلى ظن ذلك، إلى تمييع كل الأديان في ديانة واحدة، فيصبح كل الناس على ملة واحدة، وإنما يرى أن على التقاليد التوحيدية الكبرى أن تصوغ أهدافا أخلاقية واستراتيجية ذات قيمة بغاية خدمة تعايش البشرية. وبالنظر إلى الأزمت الحالية، فإن الشيخ يرى ضرورة السعي إلى معالجة الحروب الناشئة، وذلك بتبني ميثاق أخلاقي عالمي مشترك. ويعتبر المؤلف هذا الجهد وكأنه استئناف لأفكار خيرة متداولة في العالم، فيصّل بين أفكار الشيخ ونظيراتها لدى مفكرين دينيين غربيين.

ثم ينتقل المؤلف إلى بسط الكلام في خطب الشيخ عبد الله السالمي، سواء تلك التي أقيمت في كاتدرائية إكس-لاشابيل حيث شجع على الحوار بين المسلمين والمسيحيين بغاية إيجاد كلمة سواء؛ وبالتالي أفكار أساسية قابلة للعيش في موقف أخلاقي مشترك مؤسس على التمايزات بين الدول والشعوب والأنظمة الاجتماعية والديانات؛ أو بشيكاغو (٢٨ يونيو) حيث تحدث الشيخ عن مهمة العقل وعن تحقيق العدالة والخلق الطيب، وذلك بغاية تحديد الأفكار الأساسية المطابقة لمبادئ العقل ومبادئ العدالة، وذلك طبقا للأسس الأخلاقية؛ أو في القاهرة حيث حاول، في محاضرة ٢٧ مارس ٢٠٠٧، تحديد الطابع الإنساني للثقافة الإسلامية؛ أو في جامعة كامبريدج (٢١ أكتوبر ٢٠٠٩) حيث فحص مساهمات الأديان الإبراهيمية في المبادئ الأخلاقية لإرساء عالم جديد؛ أو في مركز الدراسات الإسلامية بأكسفورد (٢٦ يونيو ٢٠١١) حيث ذكر بأطوار النزاعات الماضية بين المسلمين والنصارى

عام ١٩٢٤. وبعد الحرب العالمية الثانية، انتشرت حركة الأحمدية من بريطانيا إلى هامبورج. وفي عام ١٩٥٨ تأسست الإدارة الروحية للاجئين المسلمين بميونخ. وقد أسس الإيرانيون المسلمون، الذين كانوا يشتغلون بالمنظمات التجارية، جمعيات الإيمان المسلم بهامبورج. وبعد ذلك أسس الطلبة العرب بأخن وبميونخ مراكز إسلامية. وفي الستينات من القرن الماضي كانت الجمهورية الفيدرالية تبحث عن عمال أجانب، وقد أبرمت اتفاقات مع تركيا والمغرب وتونس ويوغوسلافيا السابقة، توقفت عام ١٩٧٣.

و ضد بعض اللبنيات الغيوم التي استبدت بسماء هذه العلاقة، يذكر المؤلف بتبادل المعارف في العلوم والفنون والآداب، ويشير إلى مثال الفيلسوف القديس توما الأكويني الذي قدم الفلسفة الإغريقية، لا سيما فلسفة أرسطو، إلى الغرب عن طريق النهل من مؤلفات فلاسفة الإسلام؛ من أمثال ابن سينا وابن رشد... ثم يذكر الأسقف بجهود الفكر الكاثوليكي الجديدة خلال العقود الأربع الماضية في فهم أفضل للإسلام ولاعتقادات المسلمين. ويذكر بمنعطف المجمع الفاتيكاني الثاني ويده الممدودة اتجاه المسلمين، ودعوته إلى التجاوز عن عداوات الماضي، وكيف أن البابا يوحنا رعى التفاهم المتبادل. ثم يعبر الأسقف عن أمله في أن يقتدر الإسلام الأوربي على إدخال فكرة حقوق الإنسان إلى العالم الإسلامي، وذلك لصالح كل الأمم والشعوب. ويشير إلى تقارب وجهات نظر المسلمين والمسيحيين حين يتعلق الأمر بصون الحياة، ويذكر أننا كلنا. مسيحيين ومسلمين ويهودا. عيال إبراهيم، وهو أبونا في الإيمان برب واحد، وإيمانه هو ما يؤهلنا إلى إقامة علاقات سلمية. ويذكر هنا بالصلاة من أجل السلام التي أقيمت في سبتمبر ٢٠٠٣ بأخن من لدن ٥٠٠٠ من زعماء الأديان.

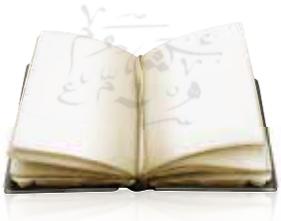
#### التسامح الديني: رؤية لعالم جديد

#### حواشي على كتاب الشيخ عبد الله بن محمد السالمي

يقدم الأسقف الشيخ عبد الله السالمي إلى قرائه، ويشير إلى أنه كتب كتابا محفرا تحت عنوان: «التسامح الديني: رؤية لعالم جديد» يعرض فيه تصورا لمساهمة مختلف الأديان في الحوار الديني البيئي بغاية أن تتعايش البشرية جمعاء في جو من السلم والحرية والعدالة. وينبه على أن الشيخ وزير لكل الأديان في بلده، وأنه يطور رؤية لعالم جديد يقوم على التسامح في الدين. ويذكر أن كتاب الشيخ جملة من مباحث وخطب أقيمت على مدى خمس سنوات، وقد نقلت إلى خمس لغات، وذلك من خطبته بإكس-لاشابيل إلى شيكاغو والقاهرة وكامبريدج وأكسفورد ومسقط. وفي هذا الكتاب يقترح أفكارا من أجل قيام أخلاقية كونية وتعايش أفضل للبشرية في جو من السلم والحرية والعدل.

أ. مرجعية الوزير في دعوته إلى التسامح:

بداية؛ يشير المؤلف إلى المرجعية الدينية للشيخ: التقليد الإباضي ضمن الديانة الإسلامية. ويعرف تعريفا موجزا بالإباضية في عمان، ويذكر رسالة النبي إلى أهل عمان. ثم يعرف بإباضي عمان وبتعايشهم بسلام مع السنة والشيعية ومع هندوسي الهند والمسيحيين وأهل الملل من لغات وجماعات ونحل أخرى. ويشير إلى أن الشيخ يحيى حياة مسلم مقتنع بدينه ووعي للتقليد التاريخي والحضاري لعمان وأهلها. وهو يبني سياسته على التسامح الديني وعلى التقليد التاريخي



## علم الثروة.. تكوين الفكر الاقتصادي جاك ميسترال

سعید بوكرامي \*

أصبحت لغة الاقتصاد لغةً مشتركة ومتداولةً وضروريةً في عصرنا، وبدون مساعدة منها، سيكون العالم الحالي غير مفهوم. مثلما سيكون الكون غير مفهوم، بدون الفيزياء النيوتونية. لكن التعرف على تكوين الفكر الاقتصادي غير متاح إلا للمتخصصين في هذا المجال. ولسد هذا الفراغ، جاء كتاب جاك ميسترال ليكشف أولاً كيف نشأت الفكرة الجريئة لـ "علم الثروة"، وهذا جانب آخر غامض من أسرار علم الاقتصاد. يستكشف ميسترال بدقة وعناية ووضوح معرفي خطوطها المتصدعة، وأصولها الفكرية كأحد الأنظمة التي أعطت مضموناً للطموح التجاري والمالي عبر العصور. لكن تاريخ الفكر الاقتصادي ليس مجرد فضول فكري فقط، يؤدي لبحث وتأليف ونشر لمؤلف في هذا التخصص المعقد؛ لأن الاقتصاد الحديث ارتبط على مدار أربعة قرون ارتباطاً وثيقاً بالفلسفة السياسية، لمثل هؤلاء العمالقة في الاقتصاد؛ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: مونتكريشتين، سميث، ماركس، والراس، كينيز وفريدمان، وعلى المنوال نفسه نجد أيضاً: هوبز، مونتكسيو، روسو، توكفيل، راولز أو هايك، الذين واكبوا اضطرابات العصر الحديث.

والسياسة في القرن الحادي والعشرين؛ انطلاقاً من تغذية راجعة لأربعة قرون من الفكر الاقتصادي المضطرب والمؤسس للفكر الاقتصادي الراهن (ص: ٢٠). وبدءاً من ملاحظة هذا التناقض الذي يرى أن الفكر الاقتصادي ينال حظوة من قبل صانعي القرارات من جميع الأطراف، لكنه غير معروف على نطاق واسع، بل هناك من ينظر إليه باحتقار بسبب انفصاله عن الواقع، وخضوعه للمصالح المهيمنة. ففي الفصل الأول والمعنون بـ «رسم خارطة للعصر الحديث»، يعود المؤلف للقضايا التعريفية المتعلقة بالاقتصاد نفسه ويبرر اختياره لبدء سرده بالعصر الحديث، وليس بالعصور القديمة، كما نجد في العديد من مؤلفات أسلافه، بحجة أن «الفكر الاقتصادي خرج من رحم القطاعات التي حدثت منذ القرن السادس عشر» (ص: ٣٣). تعتبر هذه القطاعات مادية وعلمية أكثر منها سياسية. وهنا ينبري ميسترال لشرح تفاصيل هذه القطاعات قبل التوقف عند مقاومة العقلانية الاقتصادية؛ الأمر الذي يقوده إلى استدعاء دوركهايم والإصرار على أهمية التمييز بين السجلات الثلاثة لتعبئة الاقتصاد التي لها أهداف أكثر مما هو مخصص لها، فهي أداة في خدمة القرار والمشروع العلمي والمرجع العقائدي. ثم يؤكد على أحد الأطروحات الرئيسية التي توجه دراسته للفكر الاقتصادي وهي: حقيقة «وجود نمطين من التفكير في الاقتصاد يعكس تناقضاً غير قابل للاختزال في التفسير بأقل من ازدواجية موضوعهما المشترك» (ص: ٨٢)، والذي يمكن تمثيله بمجموعة من الأسواق التي قد تميل نحو التوازن أو لا، أو كدائرة مصنوعة من العديد من التدفقات.

البيداغوجي، خصوصاً حينما يعرض وجهات نظره وتحيزه لبعض المواقف، التي تختلف عن كتابات أسلافه. وبذلك؛ أصبح جاك ميسترال ممثلاً مهماً في تاريخ الفكر الاقتصادي والذي يقترحه علينا في هذا الكتاب، ولكنه أيضاً ممارس للاقتصاد على أرض الواقع، ويشكل مثلاً جيداً لمفهوم «العامل متعدد الوظائف». فهو أستاذ البوليتكنيك، وأستاذ جامعي لعلم الاقتصاد في عدد من الجامعات، لكنه أيضاً عضو في مكتب ميشيل روكار ولوران فابوس، أثناء توليها مقاطعتيها على التوالي في ماتينيون وبيرس، والمدير التنفيذي لشركة التامين أكسا في التسعينيات وما زال عضواً ومحللاً اقتصادياً في عدد من المجالس الإدارية لعدد من الشركات المعروفة. ونشير هنا -بشكل خاص- إلى مقالاته عن «الثورة الأمريكية الثالثة» و«الحرب والسلام بين العملات»، والتي يمكن تصنيفها بأنها مرجعية أساسية وضرورية لكل مهتم بعلم الاقتصاد العالمي. يمكن أيضاً قراءة هذه الوقائع الخاصة بتطورات الفكر الاقتصادي كنوع من السيرة الذاتية الفكرية لميسترال؛ حيث لا يخفي المؤلف آراءه وميولاته وإعجاب به؛ بحيث يوضح بإسهاب الحالات التي تمت دراستها وعلاقتها بتجربته الاقتصادية. وإذا كان من المستحيل إنجاز مراجعة مفصلة لهذا الكتاب، بحكم تشعب مظاهره وكثرة النماذج المدروسة، فلا ينبغي أن يثبط حجمه ومظانه (ص: ٤٤٧) من عزمنا على القراءة والمراجعة، ورغم ذلك، فإن أهمية الكتاب تفرض علينا مع ذلك تحديد بنيته ومقاصده. يشدد جاك ميسترال منذ البداية على طموحه المتمثل في «إلقاء الضوء على مسألة العلاقة بين الاقتصاد

جميعهم انضموا لتيارات فكرية حاولت أن تقدم، منذ أربعة قرون، معنى للتكوين التدريجي للفكر الاقتصادي، لمجتمع الأفراد، سواء كانوا فاعلين اقتصاديين أو سياسيين. كان هناك دائماً توتر بين المجالين الاقتصادي والسياسي، ولكن في عصر النيوليبرالية، الذي نعيش فيه اليوم، فإن التفكك، يدفع هذا التوتر إلى مفارقاته القصوى. وهنا بيت القصيد؛ لأن هذا الكتاب الأيقوني وسيلة مبتكرة لكشف رموز ومفارقات ومعضلات الفردية المعاصرة. وفي مواجهة البلبلة التي كشف عنها الصعود العارم للفكر الشعبي في السياسة والاقتصاد. وتتمثل مهمة القرن الحادي والعشرين في تجديد الرهان الكينزي والتغلب على الطلاق الحالي بين الوضوح الاقتصادي والإرادة السياسية. صُمم الكتاب ليكون مرجعاً أساسياً للطلاب والمتخصصين في علم الاقتصاد، كما هي الحال مع أي مواطن؛ سواء ناطقاً بالفرنسية أو عبر وسيط لغوي آخر، يريد أن يفهم بشكل أفضل طرق التفكير في «العلوم» الاقتصادية، وتطورها والصراعات الداخلية التي تعبرها. يقترح مؤلف الكتاب جاك ميسترال عرضاً بانورامياً عن تاريخ الفكر الاقتصادي الذي يثبت أنه أداة قيمة لإلقاء الضوء على «العلم القائم»، كما كان توماس كارليل يسمي هذا التخصص. ومن المؤكد أن هذا الكتاب ليس الأول من نوعه، فالمؤلف يؤكد استفادته من مؤلفات عديدة في هذا المجال، بما في ذلك خلاصات جوزيف شومبيتر ومارك بلوجن، والتي كان يستدعيها ويستشهد بها بشكل متكرر. ومع ذلك، يعطي الكتاب اهتماماً كبيراً للجانب



الجديد، حتى لو أكد المؤلف على أنه «لا يكفي أن نكون كينيزيين كي نخرج من أزمة كبيرة» (ص: ٤٥٠)، مشيراً إلى الأزمة الاقتصادية التي وقعت في العام ٢٠٠٨. داعياً إلى ضرورة نهج تطهير مالي متواصل، يتوقع ويتفادى انهياراً اقتصادياً جديداً ومحتملاً. إنها وسيلة للإيحاء بأن تاريخ الفكر الاقتصادي المدروس في هذا الكتاب، هو «انعكاس للمجتمع» و«أداة للتحويل»، يجب أن يستمر المفكرون في كتابته وتحليله وعرض سلبياته وإيجابياته. مثل كل الاقتصاديين من آدم سميث إلى روبرت بوير، مروراً بجوزيف شومبتر، يعد جاك ميسترال حساساً للتنظيم السياسي للاقتصاد. لقد سار على خطى جون م. كينز مستعيداً قراءة تضمين الاقتصاد ضمن رأسمالية في تطور مستمر. لا يجد ميسترال ضيراً في التذكير بأوجه القصور في التحليل النيوليبرالي القائم على فرضية مشكوك فيها حول عقلانية الوكلاء وكفاءة الأسواق، دون أن يعير أفكار لودفيج فون ميسيس وتلميذه فريدريش هايك، التأثير الذي يمنحهم إياه بعض المدافعين عن الاقتصاد الحديث. ويعتبر هذان المؤلفان الموجّهان لما يُسمى بالفكر الاقتصادي «النمساوي»، كما يُعتبران إضافة إلى السيدة تاتشر، أن المجتمع لا وجود له، فقط الأفراد وحدهم هم الحقيقيون. على العكس من ذلك، وعلى عكس ميخائيل كينز، صاحب الاقتصاد الكلي المبسط الرائج في الأوساط السياسية، يؤكد ميسترال على الآثار المالية الضارة للسياسة النقدية التي تمدد إلى الأبد الوصفات الكينيزية، التي تعتبر بانتظام ضرورية للحد من الأزمات.

وفي الأخير، يُناضل الفكر الاقتصادي ضد إغراء فصل علم الوسائل النادرة عن بيئته السياسية. ومع ذلك، يجب كشف طريقة «بناء الفكر الاقتصادي» الذي خصص له ميسترال هذا الكتاب المهم. والذي يشبه في بنائه نسج بينيلوبي، في تشعبه وتلويحاته، ودقته، وتجده المستمر.



كيف كان الاقتصاد حديداً ومرتبلاً بمبادرات وأفكار مفكرين مستشرقين للمستقبل. وفي الفصل السادس -الذي يركز بالطبع على شخصية كينيز- يشير المؤلف إلى أنه لم يخترع الاقتصاد الكلي، على عكس الاعتقاد السائد، لكنه مع ذلك لا يتوقف عن الثناء على كينيز لأنه أسس المنهج الاقتصادي الحديث «من خلال استبدال منطق الخيارات في حالة الندرة بمنطق القرارات في ظل عدم اليقين» (ص: ٣٢٩). وبعد تلخيص المساهمات الرئيسية في نظريته العامة، يعكف جاك ميسترال على عرض توصياته السياسية والنظر فيما يمكن من تعديل فكرة خاطئة أخرى تجعله مباشراً ومتعصباً لدولة الرفاهية. ثم يقدم نماذج عن بعض التيارات الاقتصادية غير التقليدية، خاصة المؤسساتيين ومدرسة الضبط والتنظيم الاقتصادي. وفي الفصل الأخير، المعنون عنواناً واضحاً «خرافة الأسواق الفعالة». يسترجع بسرعة صعود الليبرالية الجديدة، خاصة شخصية «فريدريش فان هايك» الفريدة في عالم الاقتصاد، وفي السياق ذاته يتحدث عن التيار النقدي الذي يقوده ميلتون فريدمان، خصوصاً «الاقتصاد الكلاسيكي الجديد»، وافتراضاته المتعلقة بالتوقعات المنطقية، التي يواجهها المؤلف بصرامة مواجهاتها إلى أن هذا النموذج لا يؤدي إلا إلى «شكل اقتصادي عقيم، من شأنه أن يترك الفكر الاقتصادي، دون سلاح، في الوقت الذي نواجه فيه تحديات القرن الحادي والعشرين» (ص: ٤٠٨). يشمل التشخيص أيضاً الاقتصاد المالي ونهج الأسواق الفعالة. ومع ذلك، سيكون من الخطأ اعتبار أن هذا النهج المسيطر سيكون مهيمناً على الدوام، كما يتضح من قوة التيار الكينزي

بعد هذه الاعتبارات الأولية التي لا غنى عنها، تبدأ قصة تاريخ الفكر الاقتصادي نفسه. يبدأ جاك ميسترال بالتيار التجاري الماركنتيلي الذي يمتد من حوالي ١٦٠٠ إلى ١٧٥٠، عازماً على استعادة معالمه وآلياته مذكراً باستمرار بتنوعه الداخلي، وهنا يسعى جاهداً ليعبر أنه ليس مأزقاً خاطئاً؛ حيث يميل آدم سميث إلى وصفه بذلك، فهو يمثل لحظة قطيعة أساسية مع الفكر المدرسي الذي كان يسيطر حتى ذلك الحين، وبالتالي يمثل البداية الحقيقية للفكر الاقتصادي الخالص. وفي الوقت نفسه يصف جاك ميسترال بعناية مساهماتهم (حول العلاقة بين القوة والسوق، وعمل الصرف الأجنبي أو الاحتكارات...)، يبرز حيزاً آخر في تاريخه الفكري الذي يتمثل في وضع العناصر الفاعلة في سياقها أثناء تحليل مقولاتها، وهي بحسب المؤلف طريقة لتجاوز المعارضة بين اتجاهين في تاريخ الأفكار: أحدهما تطوري يركز على المحتويات، والآخر تقليدي يركز على عكس الأول على الظروف الاجتماعية لإنتاجها (ص: ١١٠-١١١).

الفصل التالي مكرس للمرجعيات الكلاسيكية، وفي مقدمتها نجد مؤلفات آدم سميث وديفيد ريكاردو، ويدعو بالمناسبة للخروج من الرؤية الحالية للرواد المباشرين للكلاسيكية الجديدة. كما أنه يصر على بعض مساهماتهم التي تم التقليل من قيمتها -مثل تحديد المراحل المختلفة في التنمية الاقتصادية- ويقدم بعض التوضيحات، لا سيما حول «اليد الخفية» الشهيرة التي لم يرد ذكرها في عمل آدم سميث إلا ثلاث مرات، والتي أسىء فهمها على أنها توقع لرؤية ذاتية عن تنظيم الأسواق الاقتصادية. أما الفصل الرابع فقد كرسه للرعيل الأول من النقاد لهذا الاقتصاد السياسي الناشئ، أي مجموعة الاشتراكيين الطوباويين. مثل المدرسة التاريخية الألمانية وأخيراً كارل ماركس، الذي ينتقده في مسائل عديدة، لكنه مع ذلك يبرز أهميته المفصلية في تكوين الفكر الاقتصادي المعاصر.

الفصل الخامس بعنوان «ظهور السوق»، وهو مكرس للثورة الهامشية التي حدثت في سبعينيات القرن التاسع عشر التي وقعت ريشة جيفونز ومينجر ووالراس، ويمثل ميلاد الادعاء «العلمي» للممارسة الاقتصادية. يركز جاك ميسترال بشكل خاص على حياة (والراس) وأعماله؛ حيث يعرض بالتفصيل مساعيه الطويلة من أجل بناء نظرية للتوازن العام، ناهيك عن قناعاته الاشتراكية. بعد هذا التغيير، المتفق عن «حدس عبقرية»، يظهر جاك ميسترال

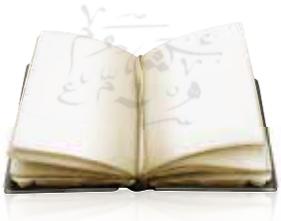
— الكتاب: «علم الثروة.. تكوين الفكر الاقتصادي».

— المؤلف: جاك ميسترال.

— الناشر: دار غاليمار، فرنسا، ٢٠١٩ م، باللغة الفرنسية.

— عدد الصفحات: ٤٤٧ صفحة.

\* كاتب مغربي



## لا يعمل: أين ذهبت كل الوظائف الجيدة؟

محمد السالمي \*

منذ الأزمة المالية في عام ٢٠٠٨، وصلت نسبة البطالة في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة إلى مستويات منخفضة على الرغم من أن نسبة الرواتب لم ترتفع لدى العمال البريطانيين منذ عشر سنوات، كما أن القوة الشرائية لدى الأميركيين هي نفسها التي كانوا يتمتعون بها منذ الثمانينات. هذا يقودنا لسؤال معظم الاقتصاديين، الذين ينظرون للعمل كسلعة مثل أي شيء آخر، وحسب العرض والطلب ومع تحديد السعر أي (الأجر). يبدو من خلال البيانات أن الطلب على العمل قوي، لكن الأجور لم تتزحزح!

من توظيفهم، لا يعملون بشكل كامل. ومن هنا، على الرغم من انخفاض معدلات البطالة، لا يزال هناك تباطؤ في سوق العمل. كما يتناول الفصل بعض التفاصيل لتوثيق كل من وجود العمالة الناقصة، وتأثيرها على الأجور. ووفقاً لاستنتاجات الكتاب، فإن العمالة الناقصة لا تتمحور فقط حول الأجور. يأخذ المؤلف الحجة خطوة أخرى إلى الأمام، حيث يؤكد أن اعتماد العمالة الناقصة كمؤشر لركود سوق العمل وفي تحديد الأجور هو الأفضل في حين أن مؤشر البطالة لا. في المقابل، هناك الكثير من الاقتصاديين يختلفون مع هذا التفسير؛ كون الاثنين مرتبطين إلى حد كبير. هذا يعني أنه من الصعب نسب آثار الأجور إلى واحد بدلاً من الآخر.

الجزء الثاني من الكتاب بعنوان: الاستجابة اللازمة. في الفصل السادس ينتقد المؤلف الاقتصاد الكلي الحديث، ويحتج بأن علماء الاقتصاد الكلي قد ضلوا طريقهم، حيث ركزوا كثيراً على النظريات الرياضية والاقتصادية، وليس بما فيه الكفاية على تحليل البيانات. أما في الفصلين الثامن والتاسع يتمحور النقاش حول الرفاه الاجتماعي والاتجاهات الاقتصادية، وصعود السياسيين الشعبويين وتركيزهم على الهجرة. يتم إبراز التباين المذهل في تصور المهاجرين وتسيط الضوء عليهم أن هناك عدداً كبيراً منهم يشغلون وظائفنا ويخفزون أجورنا، ونتائج البحوث المتعلقة بالمهاجرين تشير إلى أن عددهم أقل مما يتصور الناس وأنه ليس هناك دليل مقنع على أنهم

ينقسم هذا الكتاب إلى اثني عشر فصلاً مقسمة على ثلاثة أجزاء. في الجزء الأول يأتي بعنوان «الكساد العظيم والمشاكل الكامنة». بعد المقدمة، وفي الفصل الثاني من الكتاب يناقش المؤلف الأسباب التي تجعل البطالة سيئة، وكيف أنها تؤثر سلباً على الرفاهية المجتمعية.

أما في الفصلين الثالث والرابع يؤكد المؤلف أن نمو الأجور كان ضعيفاً منذ الركود الكبير. وعلى الرغم من أن معدلات البطالة انخفضت في العديد من البلدان، بما في ذلك المملكة المتحدة والولايات المتحدة، إلا أن نمو الأجور ظل ضعيفاً. يقول ديفيد بلانشفلور إن «العلاقة بين معدل البطالة والأجور التي كانت موجودة قبل فترة الركود قد تحطمت، وأنه على ما يبدو غير قابلة للاسترجاع». الاستنتاج الرئيسي لهذه الظاهرة يتمثل في أن الطلب على العمالة كان ضعيفاً جداً لأننا كنا في المرحلة الحادة من الركود وهي فترة طويلة من ضعف نمو على الطلب. كما يناقش الكاتب أيضاً عدم المساواة، لا سيما في ارتفاع الثروة وعدم المساواة في الدخل في الولايات المتحدة.

الفصل الخامس يناقش قضية العمالة الناقصة **underemployment**. الفكرة الأساسية هي بسيطة ولكنها عميقة. يرى الكاتب أن معدل البطالة ليس مقياساً شاملاً لركود سوق العمل. هناك عمال يعملون بدوام جزئي، لكنهم يرغبون في العمل بدوام كامل. وهناك عمال يعملون بدوام كامل، ويرغبون في العمل بعدد مختلف من الساعات. الفكرة هي أن بعض العمال، على الرغم

ما هو سبب عدم ارتفاع الأجور، هل يمكن الاعتماد على انخفاض نسبة البطالة كدليل على أن سوق العمل بخير؟ الأمر ليس كذلك. في هذا الكتاب، يحاول ديفيد بلانشفلور David Blanchflower رسم صورة شاملة حول سوق العمل، وتأثيره على المجتمع. كما يتطرق لتأثيره على الرفاه الاجتماعي والصحة العقلية والقلق وأيضاً الاتجاهات السياسية الواسعة، ويحاول إقامة روابط بينها جميعاً، باستخدام وفرة من البيانات. كتاب «لا يعمل» هو كتاب صريح حول كيف أن الشباب والعمال الأقل مهارة هم من بين أسوأ ضحايا نقص العمالة **underemployed** ويقصد به «الحالة التي ينخرط فيها الأشخاص في سوق العمل في وظائف أقل من دوام كامل أو في وظائف لا تتناسب فيما يتعلق باحتياجاتهم التدريبية أو الاقتصادية»، وكيف يتحمل المهاجرون اللوم، وكيف سيستمر انتشار وباء التعاسة وتدمير الذات ما لم نتعامل معها. العمالة الناقصة، لا تزال فوق مستويات ما قبل الأزمة في كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، هي الحلقة المفقودة بين معدل التوظيف ومتوسط الأجور كما يرى الكاتب.

الكاتب ديفيد بلانشفلور هو أستاذ علوم الاقتصاد بجامعة دارتموث، وأستاذ غير متفرغ بجامعة ستيرلنغ، وهو باحث مشارك في المكتب الوطني للبحوث الاقتصادية. كما كان عضواً خارجياً في لجنة السياسة النقدية التابعة لبنك إنجلترا لتحديد أسعار الفائدة من ٢٠٠٦ إلى ٢٠٠٩. من أبرز مؤلفاته كتاب «منحنى الأجور».



ما وظيفة جديدة خلال فترة الركود؟ كيف يمكن أن يفعلوا ذلك عند فقدان وظائفهم تشمل فقدان التأمين الصحي والمعاشات التقاعدية، وتلقى الحد الأدنى من استحقاقات العمل، وعدم القدرة على دفع الإيجار أو إعالة أسرهم؟ زيادة المرونة في سوق العمل تؤدي إلى تفاقم هذه القضايا. يمكن أيضاً أن تؤثر الأجور على الإنتاجية. كما يشير المؤلف، فإن العمال ذوي الأجور المنخفضة ليسوا مدفوعين للعمل بجدية أكبر. يمثل انتشار الوظائف ذات الأجور المنخفضة، مع قلة فرص التقدم، مشكلة خاصة في مناطق المملكة المتحدة، حيث الإنتاجية أقل بكثير من مثيلتها في لندن.

كما تشجع الأجور المنخفضة الشركات على توظيف المزيد من العمال بدلاً من الاستثمار في اليد العاملة وتحسين الإنتاجية. كيف يبدو مستقبل سوق العمل؟، يشير ديفيد إلى أن المملكة المتحدة والولايات المتحدة وأجزاء من أوروبا قد تبدأ في الظهور بشكل يشبه اليابان مستقبلاً، حيث فرض رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي في بداية ولايته الثانية سياسة Abenomics بينوميكس، تتمثل هذه السياسة في زيادة عرض النقود في البلاد، وتعزيز الإنفاق الحكومي، وسن إصلاحات لجعل الاقتصاد الياباني أكثر تنافسية وتجنب الركود. يعد الكتاب نقداً ممتازاً للاقتصاديات السائدة حيث يفسر العديد من أسواق العمل في الاقتصادات المتقدمة. هذا كتاب سيكون موضع اهتمام الاقتصاديين وواضعي السياسات في جميع أنحاء العالم كونه يحدد عدداً من العيوب العميقة في الرأسمالية الحديثة.

عنوان الكتاب: لا يعمل: أين ذهبت كل الوظائف الجيدة؟

المؤلف: David G. Blanchflower

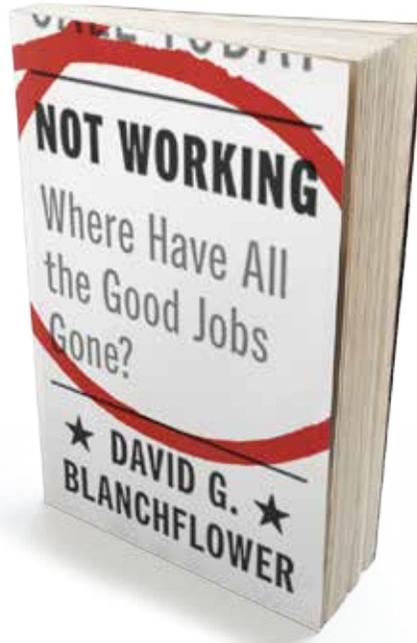
الناشر: Princeton University Press

سنة النشر: 2019

اللغة: الإنجليزية

عدد الصفحات: ٤٥٥ صفحة

\* كاتب عماني



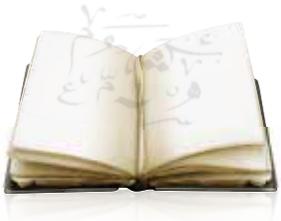
المشاعر المعادية للمهاجرين. يجب تخفيف العبء الضريبي على أصحاب الدخل المنخفض. وينبغي دراسة فكرة ضمان الوظائف أو الدخل الشامل بمزيد من الدراسة وتنفيذها كبرنامج تجريبي لاختبار إمكاناتها. يقول الكاتب في الخاتمة «لم نكن نعرف أين كنا، ولم نعرف إلى أين نحن ذاهبون كما هو الحال الآن».

وفي سياق آخر، غالباً ما يستجيب بعض الاقتصاديين لقضية الأجور بالقول إن المشكلة ليست مشكلة العمالة الناقصة، ولكن الإنتاجية منخفضة. حيث يجب أن يكون طلب الشركات على العمالة مرتبطاً بالإنتاجية، لأنه لا يمكنها دفع أجور العامل أعلى من قيمة الإنتاج الذي ينتجه في ساعة واحدة. ولهذا فقد ظلت الإنتاجية ثابتة منذ الأزمة، لذا لم تتمكن الشركات من رفع الأجور. يتفهم ديفيد بلانشفلور هذا الافتراض القائل بأن نمو الإنتاجية المنخفض هو أحد الأسباب لانخفاض الأجور. لكنه يشير أيضاً إلى أن العلاقة بين الأجور والإنتاجية معقدة. في حين أن إنتاجية العمل تضع سقفاً لما يمكن دفعه للعمال، لا يمكن للشركات تحمل أجور العمال أكثر من قيمة ما ينتجونه ولكن يمكنهم دفع أجور أقل. تقترح النظرية الاقتصادية السائدة أنه في مثل هذه الحالة، إما أن يغادر العمال، أو يفاوض اتحاد العمال من أجل زيادة الأجور. ولكن كيف من المفترض أن يجد شخص

يشغلون وظائفنا أو أنهم يخفضون الأجور. هناك الكثير من التفاصيل المفيدة حول مختلف الآثار الاقتصادية المحتملة للهجرة التي تمت دراستها بعمق. لا يقتصر الأمر على تأثير المهاجرين على الوظائف والأجور، بل على العكس من ذلك، يبدو أن لديهم إسهاماً كبيراً على الإيرادات المالية والنتائج المحلي الإجمالي للفرد.

وفي الفصل العاشر، يكمل المؤلف موضوع الاقتصاد السياسي؛ حيث يتطرق للناخبين الذين صوتوا لصالح خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي (بريكست) ولصالح ترامب، حيث أنهم أكبر سناً وأقل تعليماً وبأجور منخفضة ويعانون من جودة خدمات عامة أقل، ويشعرون أنه قد تم إهمالهم، وأن الأحزاب السياسية الرئيسية، المؤيدة للهجرة، لم تعد تمثل مصالحهم. وقد زاد غضبهم من الوضع الراهن نتيجة للكساد الكبير. ويرون في دعم الشعبوية ودعم الميول القومية ما قد تفضي لحل مشكلتهم. يوضح الكاتب أن صعود الشعبوية اليمينية كان مدفوعاً بالتطورات في أسواق العمل وبسبب فشل النخب في تصحيح السياسة الاقتصادية.

الجزء الثالث والأخير من الكتاب بعنوان: ماذا نعمل؟. حيث يتناول الآثار السياسية للتحديات الاقتصادية والاجتماعية التي تم توثيقها. يشير المؤلف إلى أن ضعف الطلب على العمالة ونمو الضعيف للأجر هو السبب الرئيسي لكل الاستياء. وللوصول لعامل الرضا فإنه يجب على صانعي السياسة أن يحصلوا على نمو في الأجور يصل إلى حوالي ٤٪ إلى ٥٪، ويقلل من جاذبية السياسيين الشعبويين. يقدم الفصل الأخير توصيات سياسية محددة لتحقيق العمالة الكاملة ونمو الأجور المرتفع. الزيادات في أسعار الفائدة من قبل مجلس الاحتياطي الفيدرالي وبنك إنجلترا كانت حتى الآن خاطئة كما يرى الكاتب، وكانت قائمة على عدم وجود بيانات. يرى ديفيد بلانشفلور أنه يجب أن تعود أسعار الفائدة إلى الصفر أو تكون سلبية حتى يتجاوز نمو الأجور ٤٪. كما يجب زيادة الإنفاق الحكومي على البنية التحتية. بالإضافة إلى زيادة التعليم حول الفوائد الاقتصادية للهجرة لتقليل



## عولمة الروحانية فلاديمير دوبرينكوف

### فيكتوريا زاريتوفسكايا \*

يتقصى الفيلسوف الروسي فلاديمير دوبرينكوف في عمله الجديد "عولمة الروحانية" جملة من القضايا المتعلقة بالمسائل الأخلاقية للعولمة، من قبيل: القضايا التي تتشكل أمام المجتمع المعولم في المجالين الاقتصادي والأخلاقي علي حد سواء، ومكونات العولمة التي بدأت تظهر للعيان في الآونة الأخيرة، والاختلالات التي أحدثتها العولمة في الثقافة العالمية، إلى جانب مسائل مثل التغريب، والأمركة، والعواقب التي بدأت تستهدف المجتمعات التي اعتنقت العولمة لاسيما فيما يتعلق بالجانب الروحاني كما هو الحال في روسيا. كما يتشعب المؤلف في رصد مؤثرات العولمة على بلاده ويقف أمام نقاط عدة تمثل علامات وملامح للعولمة مثل التثاقف والاستيعاب والتوسع الثقافي، والصدمة الثقافية والتعددية والإمبريالية الثقافية، والثقافات الفرعية للشباب، وحالة التعليم في مرحلة ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، والأرثوذكسية والمحافظة، والإحياء الديني في روسيا المعاصرة وغيرها من المسائل.

من مباني المصانع إلى المنازل الخاصة والمريحة، ولكن الآخرين، في بلدان العالم الثالث، تتحول المعدات المعطوبة، التي تصدرها إليهم الدول المتقدمة، إلى ناطحات سحاب من القمامة السامة، تمارس دورها في تدمير الصحة وتهديد حياة آلاف الأشخاص في إفريقيا وحدها.

ومن تقنيات الاقتصاد يتحول الكاتب إلى تقنيات هزيمة الروح وتجريدها من المسانيد الأخلاقية والثقافية. فبناءً على البيانات المستقاة من الدراسات الاستقصائية الاجتماعية يتوصل المؤلف إلى استنتاج مفاده أن المجتمع الروسي يكتسب تدريجياً صفات المجتمع الذي يسير على غير هدى ولا يركز على هدف أو ما يطلق عليه اسم: مجتمع الزحام. ويذكر المؤلف بمقولة البطريرك الروسي السابق أليكسي الثاني ذكر فيها أن «هرم القيم في المجتمع الروسي يتحدد بالمصالح الاستهلاكية، فمع ازديادها تزداد اللامبالاة بالحقيقة الروحية» (ص: ١٥٦). ويكتب دوبرينكوف في هذا السياق: «يتجلى ذلك في التدمير العنيف لنظام المثل الإنسانية العليا، وانخفاض قيمة حياة الإنسان والاستخفاف بضميره وشرفه وكرامته، وذلك بجانب انتشار الأساليب العنيفة لضمان الحريات الشخصية وإنكار التاريخ (...) وتضييق في العالم الروحي والأخلاقي للفرد التوجهات الإيجابية المهمة التي تصب في صالح المجتمع وذلك بمقابل زيادة الاهتمام بالمصالح الشخصية الفردية، كل ذلك مع ذوبان الوعي بالأهمية الاجتماعية للعمل وضمور الشعور بالواجب الاجتماعي والأنشطة الاجتماعية وهذا مقارنة بالفترة السوفيتية. اقتصادياً زاد مجال الرفاهية المادية والقدرة على إشباع الرغبة

التقنيات الحديثة وثقافة الإنترنت وحن وقت الفهم الجاد للجوانب الإيجابية والسلبية لثورة المعلومات التي تبلور وتوجه العمليات الاجتماعية والسياسية في البلدان وتحدد إيقاع الحياة اليومية للمجتمعات، كما وتدير مسار التاريخ برمته (... إن العولمة، التي يجري توريدها من بلد متقدم إلى بلد نام، تشبه إلى حد بعيد زراعة شجرة في تربة لا تناسبها، وبالنتيجة فقد انتشرت البراعم القبيحة وجلبت لبلادنا (روسيا) مصائب لا حصر لها».

ينطلق فلاديمير دوبرينكوف من المبدأ القائل إن الغرب قد طبع العولمة بميسمه واستلب الحق في إدارتها ووضعها في الإطار الضيق للتغريب والأمركة وذلك بإخضاعها لأهدافه الخاصة واتخاذها كوسيلة لاستعباد الشعوب غير الغربية قاطبة من خلال الشركات العابرة للوطنية، فيستشهد ببيانات توضح أن العولمة مرتبطة بمسألة عدم المساواة على النطاق العالمي ذلك لأن الدول الفقيرة لا حصة لها من فوائد التجارة العالمية. مثال بين على ذلك تجارة البن، إذ تعتبر القهوة ثاني أكبر المنتجات الزراعية مبيعاً في العالم، لكن معظم المنتجين يحصلون على ١٠٪ فقط من السعر الذي يدفعه المستهلكون في الدول الأكثر ازدهاراً. وهكذا يشدد المؤلف على أن العولمة لها نتائج غير واضحة أو شفافاً وأنها تعمل بشكل أساسي لصالح الدول والشركات الغنية: «الاستثمار الأجنبي يخلق فرص عمل جديدة في أماكن مختلفة، وبالمقابل فإن المنافسة وإدخال التقنيات الحديثة تنخفض فوراً في مناطق أخرى. في بعض البلدان تعمل هذه التقنيات، إلى جانب المعلوماتية، على تسهيل عمل الأفراد ونقلهم

منذ ظهور مصطلح «العولمة» ودخوله في الخطاب العلمي في التسعينيات، كانت عدد الكتب التي تحتوي على عناوين تحمل كلمة «عولمة» ما زالت قليلة ومحصورة، أما في الوقت الراهن، فإن موضوع العولمة والنقاش الذي تطرحه يقف منافساً لأي موضوع آخر على الساحة الثقافية والعلمية العالمية؛ وخلال ما يقرب من ثلاثين عاماً، جرت تغييرات هائلة تحدد من خلالها مسار المناقشات العلمية وارتسمت اتجاهات مختلفة في تطور المجتمع. وبدورها تحولت العولمة من مجرد فرضية علمية لا تفتقر الظرافة إلى مفهوم علمي واسع الإطار وبمحتوى شديد الضبابية، ثم غدت لاحقاً مصطلحاً مألوفاً وربما عتيقاً، وذلك بمقياس الزمن الذي يتطور فيه كل شيء بشكل سريع ومرير وتكتمل دورته بمجرد بدايته، ويصبح قديماً وهو في نشأته.

وقد بدأت تبعات العولمة في لحظتنا الراهنة في البروز بشكل جلي وكشفت عن ملامحها غير المتوقعة وغير المرغوب بها مثل التفاوت الاقتصادي بين البلدان وتسطيح الثقافة الكاسح وغيرها من الملامح. والأمر كذلك في موضوعة مصطلح العولمة ووظيفته في اللغة العلمية حيث راح يتبدل ويغير مكانه مع تبدل مواقف العلماء تجاهه وتغير طريقة تعاطيهم معه؛ وكما يبدو للعيان فإن عدد معارضي العولمة بدأ يتجاوز عدد مؤيديها، في الدول المتقدمة والنامية على حد سواء. ومثله مثل أولئك المعارضين يعتقد الباحث الروسي فلاديمير دوبرينكوف أن: «العولمة اليوم ليست مجرد موضوعاً دارجاً، وإنما أيضاً مادة لتقييم عميق ومفصل. لقد مضى زمن الإعجاب المفرط بإمكانات



فإن الشعب الإيرلندي من أكثر الشعوب ثباتاً على ديانتهم، إذ إن ثمانين في المئة من الإيرلنديين يؤدون الطقوس الدينية مقارنة بأربعين بالمئة من الإيطاليين وثلاث الإسبان. يعلق الكاتب على هذا قائلاً: «لا تُظهر الجماهير الهائلة التي تعيش في القرية العالمية وترتبط بالسوق العالمي رغبة حقيقية في تغيير انتمائهم الديني. ويبدو هذا الموقف متناقضاً إذا نظرنا إلى مفاهيم السوق، مع ذلك فإن كل شيء سيكون في مكانه الصحيح إذا قمنا بتحليله في إطار النظم الثقافية، فبدلاً من ظهور دين واحد حسب السياق الطبيعي للعولمة، ها هو الكوكب شاهد على النزعة الاستقلالية، حيث يسعى كل دين، إلى الدفاع عن استقلاله عن الأديان الأخرى، ويتمسك بهويته، مما يحيلنا إلى ظاهرة التعصب الملحوظ في عالمنا الراهن».

إن الديانة المسيحية تشهد طفرات من التنوع في المذاهب أصبحنا معها غير قادرين على احاطتها وفهمها بالكامل. يقول الكاتب: «تُذكر التغيرات الحديثة للمسيحية من نواح كثيرة بالعمليات التي حدثت في أوروبا في القرن السادس عشر. ففي عام ألف وثمانمئة كان هناك نحو خمسمئة طائفة مسيحية في العالم، تزايد عددها على الدوام حتى وصلت اليوم إلى ما يربو على أربعين ألف. وسيزداد عددها في المستقبل نتيجة لما يسمى بالكنايس المستقلة، الإفريقية والإفريقية الأمريكية في الولايات المتحدة والإفرو لاتينية في أمريكا الجنوبية وهي تتسم غالباً بطريقة غريبة جداً لتفسير الإنجيل المقدس».

أخيراً يخرج المؤلف بخلاصة أن ظروف العولمة بعواقبها السلبية على المستوى الأخلاقي لا يمكنها أن تشكل أيديولوجيا قومية جديدة لروسيا، ولا يمكنها أن تحل محل العقيدة الأرثوذكسية المكونة للشعب وللدولة، شريطة أن تظل هذه العقيدة بعيدة عن التعصب وأن تفتح وتحترم العقائد التقليدية الأخرى للشعوب الأصلية القاطنة في روسيا.

الكتاب: عولمة الروحانية.

المؤلف: فلاديمير دوبرينكوف.

الناشر: أكاديميتيسكي برويكت / ٢٠١٩

موسكو باللغة الروسية.

عدد الصفحات: ٥٨٩

\* أكاديمية ومستعربة روسية



يؤثر على القرار الإلهي. أما علائم النجاة والخلاص فتكمن في التفوق في الأنشطة الدنيوية، ولا يخفى في هذا الخطاب أن الغرب هو المقصود بنيل الخلاص» (ص: ١٧٧).

يخصص المؤلف فصلاً صغيراً لمسألة قمع الأديان في الإتحاد السوفيتي، ومنها الديانة الإسلامية التي واجهت عملية إجهاض لحياتها الثقافية والعقيدية وذلك بداية من منتصف عشرينات القرن الماضي. فوفقاً للبيانات الرسمية كان يعمل حتى شهر أكتوبر من عام ١٩١٧ أي قبل هنيهة من الأحداث الثورية، ثلاثون ألف مسجد على أراضي الإمبراطورية الروسية، وفي الثلاثينيات تم إغلاق وتدمير ما يقرب من اثني عشر ألف مسجد، ومن المحتجزين لدى السلطات لم يعد سبعة وثمانون بالمئة إلى منازلهم، ولم يتمكن ما يصل من تسعين بالمئة من الأئمة من ممارسة عملهم. وخلال سنوات حكم ستالين تم تدمير النخبة الروحية الإسلامية بأكملها تقريباً. وفي عام ١٩٤٨ بقي ٤١٦ مسجداً مسجلاً في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفياتية بأسرها، وفي عام ١٩٦٨ تقلص العدد إلى ٣١٦ مسجداً.

ويلاحظ المؤلف صفة أخرى تبدو متناقضة للعولمة منذ الوهلة الأولى. فوفقاً للمعطيات التجريبية، فإن الاندماج الكثيف لبلد ما في التبادل العولمي لا يؤدي بشكل حتمي إلى تآكل الهوية الدينية والثقافية وتراجع التدين. فإيرلندا على سبيل المثال أكثر دولة معولمة على وجه الأرض وذلك حسب مؤشر العولمة، كما أنها على رأس قائمة الاقتصاديات الديناميكية في العالم بسبب إنجازاتها الاقتصادية. ولكن، في الوقت نفسه،

الشخصية، وهذا لا يتعلق بالنزوع إلى الاستهلاك وحده وإنما كذلك الرغبة في بلوغ النخبوية والتميز عن المجتمع» (ص: ١٦٦). ويقول في موضع آخر ولكن في نفس السياق: «لذلك فليس من قبيل المصادفة أن يصف المؤشر الاجتماعي «هوفستيد» الذي يُعرف بمنهجيته ومصاديقته العالمية المجتمع الروسي باعتباره مجتمعاً يتمتع بأقل من المتوسط من الشعور بال فردية، ونسبة استبعاد السلطة عن الشعب عالية فيه، والتخطيط طويل الأجل فيه يدنو من عشرة بالمئة وحسب» (ص: ٣٢٠).

ويلاحظ دوبرينكوف أن العولمة في مظهرها الحالي، الذي يتبلور ضمن النظام الرأسمالي العالمي، لا توحد الناس بفضل تقنيات المعلومات الحديثة فقط، ولكن، وكما يتضح من خلال تحليل أكثر شمولاً، فهي تقسمهم تماماً وتحصرهم في فئات ضيقة من مجموعات مهنية أو سياسية أو دينية أو عرقية واقتصادية. فنرى أن مشاعر الوحدة والعزلة متفشية في عالم اليوم، وهي في اضطراب يسائر تزايد اعتماد الأشخاص على الإنترنت واتساع مساحته في حياتهم، أو تزايد أعداد أولئك الذين لا يتمتعون بالحماية من اختراق وعيهم بالأفكار العلمية الزائفة والآراء الإجرامية والمتطرفة. ويؤكد الباحث على أن الغالبية العظمى من الناس فقدت القدرة على تقييم سلوكها بطريقة نقدية وعلى جميع مستويات المجتمع.

إلى جانب ربطه بالعولمة بإعادة توزيع الهيمنة على العالم من الناحية الجيوسياسية، فإن الكاتب يقربها أيضاً بصراع نظامين دينيين وتنافسهما على التحكم بمعايير الخير والشر وتحديدها. يقول الكاتب مفنداً تعامل الغرب مع روسيا: «إنهم يبذلون قصارى جهدهم لإحباطنا فلا نتجرأ على تصور أنفسنا إمبراطورية تعارض روحياً المبادئ التي رسختها روما القديمة، أي معارضة الوعي الجمعي للغرب، الذي يتخذ شكل إمبراطورية عالمية. ولا ينبغي لنا، نحن الشعب الأرثوذكسي، أن نرى أنفسنا بعد الآن كدولة قوية عظيمة، إمبراطورية مقدسة، وريثة بيزنطة. يريدون لروسيا أن تكون دولة ضعيفة، هامشية، ومصيرها الأوحده هو الخضوع للإمبراطورية العالمية». ويشير دوبرينكوف إلى إن القوة الغربية المناهضة لروسيا تركز على الفكر الكالفيني البروتستانتي، يقول في ذلك: «يؤمن كالفين بأن الله يسيطر أمام العالم مصير الشعوب، فبعضها موعود بالخلاص وبعضها الآخر مصيره الجحيم. ولا يمكن لأي عمل إنساني أن يغير أو



## عزلة البابا فرنسيس ماركو بوليتي

عزالدين عناية \*

يفتح الخبير الإيطالي في الشأن الفاتيكاني ماركو بوليتي كتابه المعنون بـ "عزلة فرنسيس" بفصل يتمحور حول مفهوم الألوهية عند البابا فرنسيس (برغوليو)، بعيدا عن الصياغات اللاهوتية الجامدة، بشأن الألوهية، مستعرضا الكاتب محاولات فرنسيس بناء معتقد حيوي منفتح، يرفض الانغلاق السائد والمزمن في تصورات الكنيسة الكاثوليكية. ثمة تشاركية عقديّة يوّد فرنسيس ترسيخها في أوساط الكاثوليك خصوصا. إذ يدرك الرجل أنّ أتباع الكنيسة الكاثوليكية ممن تربّوا داخل الكاتيكيزم (أي التلقين الديني) قد تشبّعوا بما فيه الكفاية بأنّ معنى "أبناء الرب" في المدلول الكاثوليكي الصرف، يعني المعمّدين على الطريقة الكاثوليكية لا غير، وأن ما دونهم من أتباع المسيحيات الأخرى على ضلال، دون أن تنتطرق إلى أتباع الأديان الأخرى من مسلمين وهندوس وبوذيين وكنفشيوسيين بوصفهم أكثر من ضالين، وممن ينبغي جلبهم إلى المسيحية بكافة الطرق. هذا المفهوم العقدي الضيق السائد في التصورات الكاثوليكية، والمتمركز حول مفهوم كريستولوجي للاعتقاد، يقلق البابا الحالي. ففي عصر الانفتاح والتواصل والتجاور الذي يعيشه عالمنا ما عاد الاعتقاد على ذلك النحو الكاثوليكي الجامد مواكبا لتطورات التاريخ. يحاول فرنسيس إعادة بناء مفهوم الاعتقاد في الضمير المسيحي لاستيعاب التقاليد الأخرى بعيدا عن الهيمنة المتجذرة في التصورات الغربية، بأنّ الغرب على صواب وما دونه من حضارات أخرى على خطأ. ثمة رفض للسكنى في العمارات اللاهوتية الجاهزة من قبل البابا فرنسيس، كما يقول ماركو بوليتي. وتحوير زاوية النّظر العقديّة للأمر من قبل البابا ليست شيئا بسيطا أو هيّنا، وهو ما يخلق عزلة عقديّة لفرنسيس في بيته وداخل كنيسته.

الفاتيكان - في تجمع لأنصار حزبه في شهر سبتمبر من العام ٢٠١٦ «إنّ البابا الذي يجله ويقدره هو راتسينغر لا فرنسيس» نظرا لمواقف البابا السابق المتشدّدة من الإسلام والمسلمين، وأنّه لا يعترف بالبابا الذي يشرع أبواب الكنيسة إلى الأئمة المسلمين. مواقف سياسية متشدّدة تقف على نقيض ما يسعى إليه فرنسيس من تطبيع للعلاقات مع العالم الإسلامي ومن تقارب ندي بين العالمين على أساس الاحترام. ساهمت تلك التوترات السياسية مع حاضرة الفاتيكان في تضيق الخناق على فرنسيس وكبح اندفاعه لتسوية العديد من الملفات مع الأديان الأخرى. والواقع أنّ السياسات الشعبويّة التي شاعت في أوروبا خلال السنوات الأخيرة قد أضحت خطيرة على المستوى البعيد، بما تخلفه من توترات بين المكونات الحضارية العالمية.

ما يحدّده الكاتب ماركو بوليتي من عناصر مكوّنة لعزلة البابا فرنسيس في الواقع الإيطالي، يضيف إليها عناصر أخرى يعتبرها داعمة لتلك العزلة. إذ يقف البابا على نقيض جملة من خيارات السياسة الأمريكية للرئيس ترامب، سواء في أفغانستان أو فلسطين أو مع إيران. فالخيارات العسكرية الأمريكية في أفغانستان، والقول بأنّ القدس عاصمة أبدية لإسرائيل، والميل إلى الحلول الحربيّة مع إيران، كلها عناصر مقلقة لحاضرة الفاتيكان. إذ يدعو الفاتيكان إلى تجنّب الخيار العسكري كحلّ مصيري لإفغانستان ويميل إلى انتهاز الحلّ الدبلوماسي والتفاوضي لحقن الدماء

خصوصي، فتلك اللغة العقديّة هي القادرة على إنشاء وحدة جامعة بين البشرية جمعاء. لكنّ فرنسيس كما يبيّن ماركو بوليتي يجابهه إرثا عقديا ثقيلًا استمرّ فاعلا وحاضرا إلى سلفه الراحل البابا راتسينغر الذي رسّخ في عقول الناس أنّ ما عدا الكاثوليكية من عقائد هي أدنى مقاما وأبعد ما يكون عن الصواب. تلك الرؤية المجدّدة في الاعتقاد التي يحاول فرنسيس بناءها خلقت معارضين لا زال عددهم كبيرا، وهو ما يجرح البابا ويضعه في عزلة عقديّة.

وكما يذكر ماركو بوليتي أبدى البابا فرنسيس تعاطفا مع قضايا المهاجرين المقيمين في إيطاليا، والقادمين إليها، منذ اعتلائه السدة البطرسيّة. بدا ذلك جليا في زيارته التاريخية إلى جزيرة لمبيدوزا ترخّما على أرواح الغرقى من المهاجرين، التي باتت رمز المحطة الأولى في رحلة القادمين إلى إيطاليا. لم تلق تلك المواقف ترحيبا من وزير الداخلية اليميني ماتيو سالفيني. واتخذت الحكومة المشكّلة من الحزب اليميني، ممثّل رابطة الشمال ذات النزعة المعادية للمهاجرين، موقفا من البابا فرنسيس واعتبرته يسير في خط مناقض للسياسة الحكومية. منذ ذلك التاريخ بدأت الهوة تتسع بين الحكومة ذات التوجه اليميني وفرنسيس. لم يرق للحكومة ذات التوجه الشعبويّ التقارب الذي يسير فيه البابا مع العالم الإسلامي ومع المهاجرين المسلمين. بلغ الأمر مستوى من التوتر أن أعلن وزير الداخلية ماتيو سالفيني - فيما يعني القطيعة مع رأس حاضرة

بهذا المدخل للحديث عن توجهات الباب على مستوى الاعتقاد، يحاول ماركو بوليتي رسم معالم العزلة التي يعيش فيها فرنسيس داخل الكنيسة وخارجها. فقد اختار الرجل الانفتاح العقدي على الأديان الأخرى دون موارد أو لف أو دوارن، منذ إصدار إرشاده الرسوليّ الأوّل «فرح الإنجيل» (Evangelii Gaudium) (في ٢٤ نوفمبر ٢٠١٣)، حيث أكد في مضامينه في ما يتعلّق بالمسلمين على «أنّ العلاقات مع أتباع الإسلام، في هذا العصر، تكتسي أهمية كبرى لحضورهم في سلسلة من البلدان ذات تقليد مسيحي، ومن حقهم إقامة شعائرهم بحرية والعيش في كنف تلك المجتمعات بأمان. وأنّ هؤلاء المسلمين على إيمان إبراهيم، ويعبدون معنا الله الواحد، الرّحمن الرّحيم، الذي يدين النّاس في اليوم الآخر. وأن مرجعيات الإسلام المطهّرة تتضمّن جوانب من تعاليم المسيحية؛ فالمسيح ومريم موقران جليلان». لقد تضمّن الإرشاد الرسولي من جملة ما تضمّن دعوة صريحة للمراجعة، والتنبيه لما رسّخته المشاحنات الدينية في الأذهان أنّ المسلمين بمثابة عبّاد إله آخر مغاير لإله المسيحيين. حاول فرنسيس أن يشطب تلك الدعاية المضلّلة وأن يعيد للتخاطب مع المسلمين نقاءه وصفاءه، مبرزا أنّ اللفظة المستخدمة من قبل المسيحيين العرب ومن قبل المسلمين على حدّ سواء، في مجال الاعتقاد، هي ذاتها. وبشكل عام يحاول فرنسيس، أكان مع المسلمين أو مع غيرهم من التقاليد الدينية الأخرى، التطرّق إلى إله كوني لا إلى إله



شخصية دينية، تناولت قضايا النزيف الخُلقي الذي يعصف بالكنيسة. ثمة تباطؤ داخل الفاتيكان في فتح الملفات الجادة وتسويتها وهو ما يزيد من تفاقم الأوضاع.

بعد ست سنوات من تنصيبه في الثالث عشر من مارس ٢٠١٣ لم يتقدم البابا فرنسيس كثيرا في تسوية تلك الملفات، وربما فقد الحماس الذي جاء به، أو بدأ يتلاشى، على إثر تنحي البابا المستقيل. في هذه الأوضاع ثمة من يطرح ضرورة عقد «مجمع فاتيكان ثالث» على غرار «مجمع الفاتيكان الثاني» ١٩٦٢/١٩٦٥، تُطرح فيه القضايا الجوهرية للكنيسة اليوم. ولكن في ظل هذا المطلب الملح هناك من يشكك في قدرة جهاز الأساقفة والكرادلة، في الوقت الحالي، على خوض تلك المهمة، والتريث بشأن ذلك الطرح والانتظار حتى يحصل نضج تاريخي لاهوتي داخل الكنيسة. لعل ذلك ما حدا بالبابا فرنسيس للتصريح، أمام مجلس «الكوريا الرومانية» عشية أعياد الميلاد ٢٠١٧، بأن القيام بإصلاحات داخل حاضرة الفاتيكان يشبه تنظيف تمثال أبو الهول المصري بفرشاة أسنان، وذلك لصعوبة العملية وتشعبها، فتضيق الأجهزة المحكمة بالكنيسة وإعادة بنائها مجددا ليس بالأمر الهين أو السهل كما قد يُتصور.

لذلك تبدو عزلة فرنسيس متنوعة الأبعاد، ثمة من يطرح للخروج من هذا المأزق، اختصار طرق الإصلاح والتخلي عن العملية الإصلاحية الكبرى والسعي الجاد للتركيز على ديمقراطية الحياة الدينية داخل الكنيسة. بإعطاء كنائس الأطراف، أي مختلف المجالس الأسقفية المنتشرة حول العالم، نوعا من السلطة المحلية في تقرير مصيرها الديني، وعدم الرجوع في أي صغيرة وكبيرة إلى حاضرة الفاتيكان. إذ تبدو مركزة السلطة الدينية التي سعى البابوات السابقون في ترسيخها قد أمست وبالأعلى على الكنيسة اليوم. البابا فرنسيس يدرك أهمية ذلك الطرح في تجديد الكنيسة، ولعله السبيل الأيسر والأقصر لفضك العزلة التي يعانيها.

**الكتاب: عزلة البابا فرنسيس.**

**تأليف: ماركو بوليتي.**

**الناشر: منشورات لايرسا (باري-إيطاليا)**  
**باللغة الإيطالية.**

**سنة النشر: ٢٠١٩.**

**عدد الصفحات: ٢٤٨ ص.**

**\* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا**



بالتماس التبريرات الصائبة والزائفة لإيقاف الرجل عن مساره ودفعه للتريث وعدم المغامرة. يُصنّف كارلو ماريا فيغانو ضمن خصوم فرنسيس الذين ما زالوا على حين للخط اللاهوتي المتشدد للبابا بندكتوس السادس عشر (راتسينغر). ولذلك يفسر ماركو بوليتي الحدث بالطبيعي والمعتاد، أن يجد البابا فرنسيس معارضة من داخل الجهاز المتحكم بحاضرة الفاتيكان. فمختلف الأساقفة والكرادلة الذين يتحكمون بمصير المؤسسة الدينية قد نشأوا وتربوا في ظل عقلية لاهوتية دغمائية محافظة، وذلك على مدى فترة البابوين يوحنا بولس الثاني (ووجتيللا) وخلفه راتسينغر، ولذا ليس من المستبعد معارضة التوجهات الإصلاحية للبابا فرنسيس. معتبرا ماركو بوليتي انتفاضة فيغانو هي عمل سياسي داخل الكنيسة ولا تمت للعمل الديني. صحيح جاء البابا فرنسيس بأحلام إصلاحية كبرى، تمثلت في إدخال تحويرات على «الكوريا الرومانية» (الجهاز الرئيس المتحكم بسياسة الفاتيكان الدينية)، وإجراء تحويرات هيكلية على مؤسسة «الإيور» (أي إصلاح الجهاز المالي الكنسي بعد تبين ما يعتريه من خور وفساد)، ومراجعة المهام الوظيفية الكنسية (لا سيما ما تعلق منها بالتكوين والأدوار بقصد الخروج من البيروقراطية الدينية التي باتت ترهق كاهل الكنيسة وتعوق تقدمها). تلك المحاور أساسية في نظام سير حاضرة الفاتيكان تتطلب جرأة وقدرة ودرية وكذلك سرعة في التنفيذ حتى يتبين جدواها. فعلى سبيل المثال مرّت عشر سنوات منذ تناول راتسينغر قضايا الفساد الجنسي في الكنيسة، لم تُطرح المسألة بشكل جاد سوى أثناء انعقاد قمة رؤساء الأساقفة في روما (٢١ فبراير ٢٠١٩) شارك فيها ما يربو عن ١٩٠

من الجانبين الإفغاني والأمريكي، وقد تبين فشل الخيار العسكري كسبيل لتسوية الأمور؛ وأما ما تعلق بالشأن الفلسطيني فلا زال الفاتيكان مصرا على حل الدولتين واعتبار تسوية الخلاف حول مدينة القدس في تحويلها إلى مدينة مشتركة للأديان الثلاثة خارج الهيمنة الإسرائيلية؛ وأما ما يخص الملف الإيراني فالفاتيكان على غرار موقف المجموعة الأوروبية يسعى جاهدا إلى ضم الجمهورية الإسلامية إلى حضيرة المجتمع الدولي، دون العمل على شيطنتها وعزلها كما تسعى سياسة ترامب في ذلك. كل تلك العناصر الخلافية في السياسة الخارجية بالنسبة إلى الفاتيكان من شأنها أن تجعل فرنسيس خارج التأثير الفاعل الذي يُفترض أن يتمتع به كزعيم ديني عالمي بوصفه بابا الكنيسة الكاثوليكية. إذ يزداد صوت فرنسيس خفوتا بسبب الحلف الذي صنعه ترامب مع بعض الحلفاء في السياسة الدولية والذي يناقض خيارات حاضرة الفاتيكان.

من جانب آخر ودائما في نطاق رصد عناصر تلك العزلة التي تُطوّق فرنسيس، يذكر ماركو بوليتي أنّ مع نهاية شهر أغسطس من العام الماضي مرّ البابا بفترة حرجة، انطلقت من داخل الكنيسة هذه المرة وامتدت تداعياتها إلى الخارج. تمثلت في دعوة صريحة من مجموعة من رجال الدين بقيادة الأسقف كارلو ماريا فيغانو بتنحي فرنسيس، بموجب اتهامه بالتستر على انتهاكات وفضائح جنسية للكردينال تيودور ماكريك. والواقع أنّ فرنسيس بمجرد علمه بخبر تورط تيودور ماكريك في فضائح جنسية عمل على طرده من مجلس الكرادلة وفتح تحقيقا في الشأن. ممثّل ذلك الاتهام الثقيل بالتستر قمة جبل الجليد العائم، فقد صاغ كارلو ماريا فيغانو تقريرا مفصلا أورد فيه جردا بانحرافات فرنسيس عن خط الكنيسة التقليدي والمحافظ. الواضح أنّ الامتناع من فرنسيس موجود داخل الكنيسة وخارجها، فالانتهاكات الجنسية سواء ضد القاصرين، أو السلوكات الجنسية غير المشروعة لبعض رجال الدين، هي من الحوادث التي تؤرق الفاتيكان ولا زال حد الساعة يعجز عن غلقها أو تسويتها لكثرتها وتشعبها. وأما ما تعلق بشأن اتهام فرنسيس بالانحراف عن خط الكنيسة التقليدي فهو خاضع لرؤى وتأويلات، فهناك من يذهب إلى أنّ التوجهات التصحيحية والإصلاحية التي انتهجها فرنسيس منذ مقدمه إلى روما، قد مسّت العديد من المصالح داخل الفاتيكان، وهو ما جعل شقا من المتضررين يبحث عن مختلف السبل للحد من اندفاع فرنسيس،



## الأكاذيب التي تربطنا.. إعادة التفكير في الهوية كوامي إنتوني أيبا

علي الرواحي \*

الهوية ليست شخصية، أو ليست شأنًا شخصيًا؛ فمشاعرنا حول أنفسنا يتم تهذيبها وصياغتها عن طريق عدد لا نهائي من الارتباطات والعلاقات المختلفة كالجنسية، والثقافة، والطبقة، والعرق، والدين... وغيرها من المحددات الأخرى. فهي بالرغم من الصعود الكبير الذي نلاحظه في جميع التحليلات الإخبارية الصحفية، والأعمال الفلسفية الرصينة، إلا أن موضوع الهوية يواصل صعوده وتصدره بشكل مستمر؛ وذلك من خلال الأسئلة التي تُطرح على الأفراد في كل بقاع العالم من جهة، وصعود المد القومي من الجهة الأخرى، وهو ما يعني ضرورة التفكير في الهوية وارتباطاتها «الوهمية» المختلفة التي في الكثير من الأحيان يعتبرها البعض -ومؤلف هذا العمل من ضمنهم- أنها أكاذيب تربط بين الأفراد والقوميات وتؤسس للكثير من النتائج المختلفة.

وفي الجانب الآخر، فإن الهوية لا تُصاغ عن طريق الدين أو العقيدة، أو بواسطة بعض التحيزات الأخرى، بل تُسهم الدولة في صياغتها إلى حد كبير، فالقومية أو الانتماء لشعب معين يؤثر الفرد ضمن مجموعة معينة هي الأخرى من الرموز والعادات والتقاليد التي لا غنى عنها، أو لا يمكن القفز فوقها، فعندما يتحدث الشخص بصيغة الجمع «نحن» فهي لا تشير إلى عدد محسوس ومرئي وأعداد قابلة للقياس فقط، بل وتجرب معها الكثير من الأحداث التاريخية التي أسهمت في توحيد هذه المجموعة، وخلقت ما يشبه التلاحم غير المرئي بين جميع المتحدثين بهذه اللغة أو تلك. وبالعودة للدولة، وتحديدًا الدولة الحديثة، نجد أنها أسهمت وبشكل مقصود في خلق هذه الجدران التي ينبغي القفز فوقها وتوسيعها في عصر العولمة.

الأمر المهم في هذا السياق، ليست النظرة المتوفرة للأفراد تجاه أنفسهم، أو تجاه الجماعة التي تنتمي لهم، بل أيضا وبشكل لا يقل أهمية النظرة من الخارج، أو نظرة الذين لا ينتمون للجماعة، وهو ما مكن من الحديث عن الكثير من الأحداث المأساوية كالجرائم والمذابح في بقاع العالم المختلفة، بسبب وجود هذه النظرة من الخارج للأحداث.

وعلاوة على ذلك، فإن بعض التجارب المعاصرة -وبشكل خاص في بعض الدول الأوروبية- كما هي الحال في إيطاليا والحديث عن مفهوم الأمة الذي انتعش في الفترات الزمنية السابقة؛ حيث تم العزف على وتر الهوية، والصفات اللغوية والعرقية التي تجمع بين هذه الفئة دون تلك؛ الأمر الذي يؤسس تلك اللحمة في النسيج المجتمعي، والتي بدورها عبارة عن سردية غير واقعية، بل هي مثل الكثير من الروابط الأخرى، تستند إلى التلفيق، والتجميع، أكثر من قيامها على أسس واقعية، وفيزيائية من الممكن تلمسها وتتبعها، وهو ما أدى إلى نشوء ما يسمى باختراع الأمم كما هي الحال بشكل واضح في سنغافورة وغانا. ففي حالة الهوية في سنغافورة فإنها تشكل حالة معقدة، غير أن مفهوم الأمة في غانا يبدو من الممكن قياسه، وتتبعه، فهناك أعداد كبيرة من المسلمين والمسيحيين والأديان التقليدية خارج هذا الإطار التوحيدي.

في حين أن الشرط الثاني للهوية يقوم على الجوهرانية أي تلك الصفات التي لا تتغير حينما يتم الحديث عن الفروقات الفردية بين الرجل والمرأة مثلا، أو حسب اللون أو الطبقة، أو غيرها من المحددات الأخرى التي تحمل معها تاريخا ممتدا لا علاقة للفرد به، وربما في الكثير من الحالات لا يتفق معه، أو لا يشعر بالرضا عن الكثير من تفاصيله وبرامجه، وهو ما يتعدى الأفراد إلى الحيوانات والنظرة الجوهرية التي تذهب إلى أن كل الأسود تقترب، أو تلك الصفات الملتصقة ببقية الحيوانات التي لا حيلة لها بها، أو لا تمتلك القدرة على تغييرها بشكل عام.

الانتماء غير الاختياري لعقيدة معينة، منذ لحظة الولادة، مرورًا بالتربية التقليدية طويلة المدّة، إلى لحظات تفتح الوعي وتغييره، يجعل الأفراد أسرى لحقائق محددة، ووقائع تاريخية لا علاقة لهم بها، أو في أحسن الأحوال تأويلات ماضوية تلقي بآثارها على الأجيال اللاحقة دونما استشارة أو موافقة. يستتبع هذا الانتماء الكثير من الطقوس المصاحبة له، وحفظ أو تلقين النصوص التي تشرح أو تؤيد ممارسات معينة، والمحرمات التي لا ينبغي انتهاكها أو ضرورة تجنبها لتجنب الخروج من السياج الدوغمائي المغلق؛ ذلك أن هذه ليست من شروط الإيمان فقط، بل أيضا من الشروط اللازمة للبقاء ضمن طائفة أو جماعة معينة، فهي تستوجب الطاعة والخضوع وعدم النقاش. فالطقوس تعتبر في الكثير من الأحيان لا يمكن الانفكاك منها، حيث يتم النظر إليها على أنها بوابة إجبارية للدخول إلى الجماعة وقيمتها وتقاليدها المختلفة، وهذا ليس حكرًا على ديانة أو ثقافة محددة، بل هو جزء لا يتجزأ من شروط الهوية، ومحدداتها الضرورية. وبما أن الأفكار في الكثير من الأحيان تستمد مشروعيتها وأهميتها من التجربة الشخصية، فإننا نجد المؤلف هنا، يتحدث عن الكثير من العادات والتقاليد والقيود الدينية التي تخضع الإنسان، وتقيد، بل وتضعه ضمن إطار محدد، لا يستطيع الخروج منه في الحالات العادية، فهو يتطلب الكثير من الجهد النفسي وربما البدني والجرأة للانشقاق وإعلان رفض الطاعة.

ففي الجانب النظري، وهو المتعلق ليس بالاشتغال الفلسفي فقط، بل ويمتد أيضا إلى الجانب الإبداعي: الشعري والروائي وغيره، نجد أن سؤال الهوية طرح منذ منتصف القرن العشرين، وربما بعد ذلك بصيغته الحالية والمتعلقة بالكثير من المحددات العرقية، والطبقية، واللونية... وغيرها، في بعض الأعمال الروائية الإنجليزية التي تعود لفترات زمنية سابقة، لا تعرف العولمة، أو الهجرة المتزايدة، أو ظروف البحث عن العمل، أو تلك العوامل التي حفزت هذا السؤال الوعر، والعميق. ففي جانب نظري آخر، نجد أن العلوم الاجتماعية قد عززت وجود هذا السؤال أو انتعاشه إلى وجود الآخرين، أو للإجابة عن أسئلتهم التي يتم تداولها وتناقشها بين بعضهم البعض. غير أن لفظ «الهوية» حسب الاستخدام المعاصر لم يتبلور إلا بعد الحرب العالمية الثانية في أعمال بعض علماء التحليل النفسي، والذي تم استخدامه بمعانٍ مختلفة حسب السياق المقصود.

وإضافة إلى ذلك؛ فالحديث عن الهوية يعني بدرجة كبيرة الحديث عن التصنيفات وعدد كبير من التحيزات والأفكار المسبقة التي بدورها تؤثر الشخص دونما وعي منه، أو رغبة مقصودة، فمن خلال الأسماء أو قبل ذلك عن طريق سحنة الأشخاص وملامحهم يتم هذا التصنيف ووضعهم في صناديق جاهزة، وهذا يُحتم إلى حد بعيد ضرورة التصرف بطريقة معينة، تتناسب إلى حد كبير مع التاريخ الذي وجد نفسه/نفسها فيه دون أي تدخل أو القدرة على إعادة صياغة هذا المسار أو ذلك.

وبهذا المعنى، فإن الشرط الأساسي والأولي للهوية يقوم على تعميم طريقة التفكير الفردية أو الجزئية على الآخرين الذين ينتمون أو يقعون ضمن الإطار الروحي والسيماي السابق، وهذا ينطبق إلى حد كبير على التعميم الجندي الذي تقع فيه الكثير من النسويات بدون وعي. فبمجرد الحديث عن الرجل فإنهم يقعون في نمط فكري واحد ينبغي توجيه الاتهامات أو المطالبات النسوية للحصول على الحقوق، بغض النظر عن الفروقات الفردية الطبيعية بين الأفراد.



المتعددة التي تصل إلى ما يشبه الصراع بينها، نجد أن الحديث عن الهوية يقبل الكثير من الأقوال والشروحات المختلفة. غير أن القاسم المشترك بين القصيدة والهوية يكمن في وجود تلك الأطر التي تُسجن فيها الشعوب، والأفكار المسبقة المختلفة؛ فهي (هذه الأطر) تُسهم في تهيئة الأفراد للكثير من الأحداث والسيناريوهات التي تعتبر بدورها لا تتناسب دائماً مع التحولات المختلفة. فمن الوهلة الأولى تتقاذف إلى الذهن الكثير من السمات عندما يتم الحديث عن البرابرة، فمنها ما هو وحشي، خارج الثقافة، وعنيف، لا يلتزم القوانين والبروتوكولات الحضارية المختلفة، تلك التي تضي على الأفراد سمة الثقافة والتحضر. فعدم وصول البرابرة أحدث الكثير من التغيرات -بحسب القصيدة- ومنها أن الجميع في القصيدة على أهبة الاستعداد، وفي انتظار الأحداث المأساوية، بدءاً من الامبراطور الذي ينتظر أو ينتظر لفترة طويلة مع مجلس الشيوخ لسن القوانين، وهو ما أثر على وضع القوانين، وعلى توقيت استيقاظ الإمبراطور وجدوله اليومي، وهو ما ينطبق على الكثير من الطبقات السياسية في مجتمع القصيدة التي كانت مختبئة، وغير متأهبة، وفي حالة مطبقة من السكون والعماء. انتظار البرابرة وعدم وصولهم بعد تأكيد جنود الحدود أو وقف الخطباء المفوهين عن الخطب العصماء، وأعاد الجميع إلى بيوتهم وقد استبد بهم الغم والملل، وبالتالي لم تعد الحلول المرتقبة ممكنة الحدوث وعادت الحياة إلى طبيعتها الساكنة السابقة؛ لأن وصولهم كضيف بإحداث التغييرات على الحياة، وعلى استنفار جميع عناصر المجتمع المختلفة. وهو ما ينطبق على الهوية التي بقيت ساكنة ولم يحدث لها أي تغيير، وذلك بانعدام وجود قطب مغاير لها، أو مهدد لها في أحسن الأحوال؛ فالبربري بحسب التصورات المتناقلة والمعلبة قد يقلب حياة أفراد المجتمع رأساً على عقب، مغيراً بذلك خارطة القيم الساكنة، محتفظاً بالهوية المؤطرة، كما نجد ذلك في الواقع المعاصر الذي يعتبر مغايراً لما سبقه من المجتمعات؛ حيث نجد تراصفاً كبيراً، وتعايشاً غير مسبوق للهويات المختلفة في الوقت الراهن؛ الأمر الذي يجعلنا حسب رأي الكاتب، بحاجة ماسة لإعادة التفكير في الهويات بشكل عام، والأطر التي سُجنت فيها العديد من الشعوب في عالم مزدحم باللغات، واختلاف سياقات العمل، وتنوع التجارب الحياتية والمعيشية، التي أنتجت بدورها هويات غير نهائية، وغير مكتملة، قابلة للتحويل في أي وقت.

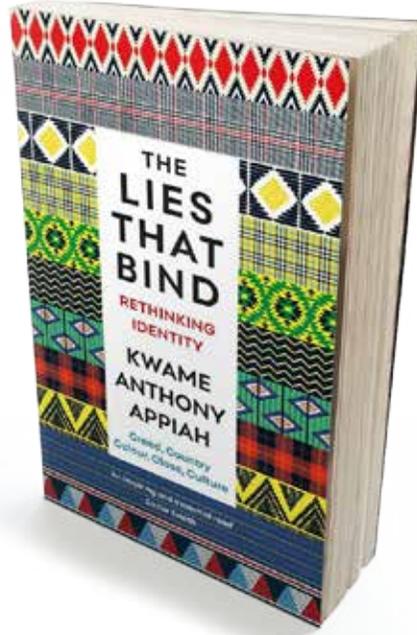
– الكتاب: "الكاذب التي تربطنا: إعادة التفكير في الهوية".

– المؤلف: كوامي إنتوني أيبا.

– الناشر: Profile Books، 2018م، بالإنجليزية.

– عدد الصفحات: ٢٥٦ صفحة.

\* كاتب عُمانى



توجهات الأفراد، ونظرتهم للحياة، وتعاملهم مع الكثير من الظروف الحياتية المختلفة. فالطبقة تعتبر من الألوان الأربعة أو التمازجات الأربعة في العلوم الاجتماعية التي تحدد شخصية الأفراد، وتوجهاتهم، وفي الكثير من الأحيان الأفعال التي يقومون بها. فمن الممكن للضرد في هذا السياق أن يُغير دينه، ويعتقد ديناً جديداً، أو يكون خارج هذه الأطر، كما أنه من الممكن أن يقوم بالكثير من عمليات التجميل، والمحافظة على الجسد، غير أنه من غير الممكن أن يتخلص من طفولته، مهما كانت بائسة أو جاذبة، ذلك أن ولادته في طبقة معينة تعني الاحتكاك، والانغماس في الكثير من التجارب اليومية المختلفة، والدخول في علاقات مختلفة، لا تشبه بقية الطبقات أو المجتمعات الأخرى.

يقودنا الحديث عن الطبقة للتطرق بشكل شبه حتمي إلى الحديث عن الثقافة؛ فهي إلى درجة كبيرة وتحديداً لدى علماء الاجتماع، تؤثر وتتأثر بالكثير من العوامل؛ لأن الثقافة ليست المعرفة كما هي الحال للخلط الحاصل في الكثير من المجتمعات؛ حيث تشير الثقافة إلى تلك الرموز والأعراف والعادات والتقاليد التي يستبطنها الضرد من تربيتهم التي هي حصيلة للطبقة التي يعيش فيها الضرد. فالحديث في هذا السياق، يذهب كثيراً إلى وجود اختلاف بين السلوكيات والأخلاق حسب ثقافة الضرد التي تجد جذورها في الثقافة التي يستمد منها تلك العادات. فعلى مدى العقود الماضية، قامت حروب باردة أحياناً، وحروب نارية في الكثير من الأحيان بين هذا التوتر المزمّن وطويل الأمد بين المستويات الثقافية المختلفة للأفراد، وهو ما يؤثر على المستويات والأذواق الغذائية، والجمالية، وطريقة التعامل الفردية.

ويختتم المؤلف هذا العمل بمقطع مُدهش من قصيدة قسطنطين كفافيس الشاعر اليوناني المصري الشهير المعنونة بـ«انتظار البرابرة»، والتي تذهب إلى أن وصول البرابرة يعتبر جزءاً من الحل للكثير من المشكلات والمتاعب، وكما في القصيدة التي تقبل الكثير من القراءات والتأويلات

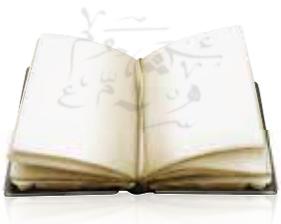
وإضافة لذلك، فإن التعدد اللغوي الكبير الذي تحظى به البلاد؛ بحيث يتم استخدام بعض اللغات المحلية بواقع ١٧ مليون شخص من أصل ٢٨ مليون نسمة؛ وذلك للغة التيووي أو أكان، والتي تعتبر لغة الأكثرية في البلاد، في حين أن بقية اللغات موزعة بنسب مختلفة بين أفراد الشعب، تنافسها في ذلك اللغة الإنجليزية وهي لغة الأعمال والدراسة والسفر والحياة المعاصرة في العالم، أو كما يرغب البعض في تسمية اللغة الإنجليزية بأنها لغة الاستعمار مع اللغة الفرنسية. بالإضافة إلى ذلك، فإن الكثير من الدول المجاورة لغانا مثل كينيا، أوغندا، وتنزانيا تتحدث اللغة السواحلية التي تحظى بانتشار كبير في هذه البقعة الجغرافية، والتي تعتبر اللغة الأم للكثير من الشعوب في تلك المنطقة.

وبهذا المعنى، وفي سياق هذا الحديث، نجد أن الأمة تُخترع، بل ويتم إعادة اختراعها في الكثير من الأزمان والمواقف المختلفة، وذلك لما تعنيه من فوائد ومكاسب سياسية للطبقة السياسية بشكل محدد، ولبناء الدولة بشكل عام، وذلك وفقاً لما يراه ارنست رينان من أن الحكايات والقصص تعتبر من العناصر التي تُسهم في بناء الأمم؛ حيث إنها تُعبر بشكل واضح عن رغبتها في مواصلة الحياة العامة، فعن طريقها يتم الترابط، وتشارك الخبرات، والمواقف الحياتية والمعيشية المختلفة، كما أنها تجعل الضمير «نحن» يعبر بشكل كبير عن حقيقة فعلية، وإن كانت ليست كذلك.

وإضافة للعوامل السابقة المحددة للهوية، يأتي اللون كما يذهب المؤلف ليضيف عنصراً مهماً في هذا السياق؛ وذلك من خلال الكثير من التجارب والسرديات التي يوردها. غير أن الملاحظ أن العرقية وارتباطها بلون معين في تصاعد مستمر في الآونة الأخيرة، وهو ما يمنح تعريف الشعب بأنه مجموعة من الأفراد يتم تحديدهم عن طريق إرجاعهم لجد أو سلف مشترك بينهم، قد يكون متخيلاً أو واقعياً، منذ بداية التاريخ المكتوب لذلك الشعب، وجاهة كبيرة في هذا السياق. فبالعودة لبعض المفكرين الأوروبيين المهمين بهذا الشأن نجد أنه لا يوجد إجماع على هذه النقطة، حيث يؤمن بعضهم بنظرية الخلق الدينية، والتي تذهب إلى آدم وحواء وكل ما جاء بعدها من روايات مختلفة تدعم وجهة نظر معينة دون الأخرى، بما فيها الطوفان البابلي. غير أنه في المقابل، نجد أن بعض المفكرين والفلاسفة مثل لينينتز ذهب إلى التفريق بين الأفراد فقد اعتمد على الجانب اللغوي، كما نجد أن بعض النظريات تذهب إلى أن أساس التفريق بين البشر يعتمد على المناخ والبعد الجغرافي، فهي تحدد اللون والسمات، وليست متوارثة كما يذهب البعض.

وتجدر الإشارة هنا، إلى لفظة البيولوجيا، والتي اعتمد عليها الكثير من العلماء في هذا السياق، قد تم اختراعها في العام ١٨٠٠م، في اللغة الألمانية؛ ففي تلك الفترة كان النقاش حول طبيعة الحياة والتي اتخذت مكاناً لها ضمن التاريخ الطبيعي، دائراً حول الدور البيولوجي في التقسيم بين البشر.

وتلعب الطبقة الاجتماعية بما تحمله من انعكاسات وآثار مختلفة دوراً مهماً في تشكيل هوية الأفراد؛ فهي تحدد



## الأكل الجيني: علم السمنة والحقيقة حول الريجيم يو جيليس

طلال اليزيدي \*

يعتبر الكثير من الناس حول العالم أنّ السمنة مُشكلة بسيطة وغير مُهمّة، هذا الكتاب المستخلص من قرابة العقدين من الزمن في مجال التغذية يهدف إلى تبيان العكس. وفي الحقيقة نعم، بالتأكيد يجب علينا الأكل بطريقة ترشيدية، وأيضا يجب علينا أن نمارس بعض الحركة للحفاظ على الهيئة الصحية لأجسامنا، لكنّ السؤال الحقيقي الذي يحاول الكاتب أن يجيبه في هذا الكتاب، هو: لماذا يأكل بعض الأشخاص أكثر من الآخرين؟ ولماذا يواجه بعض الأشخاص صعوبة كبيرة في خسارة الوزن أكثر من أشخاص آخرين؟ ولماذا ثقافتنا توفر لنا الإجابات السريعة غير المتخصصة والناقصة للتفسير العلمي من قبل ما يسمون بخبراء التغذية؟

بهم مصادفة في عمر الشباب. يوضح يو الحقيقة المفاجئة بأن وراثة الوزن هي إلى حد ما قريبة من آلية توارث الطول. تحدث في كتابه عن شعب البيمبا من شعوب الهنود الحمر المتأصلين في أريزونا وجزر المحيط الهادي، الذين يعدون حاليا من أثقل الناس وأكثرهم وزنا في الكوكب، فهم سمينون لأن جيناتهم تطورت خلال مئات السنوات ليتمكنوا من التكيف على قلة الطعام في الأحوال القاسية. على الرغم من تغير نمط حياتهم إلا أن تركيبهم الجينية لم تتغير؛ فعلى الرغم من تطور أسلوب المعيشة في العصور الحديثة، إلا أنهم ما زالوا بدينين بعض الشيء مقارنة بالبشر الاعتياديين بسبب وراثتهم لنفس جينات البدانة التي احتواها أسلافهم لتقيهم من خطورة قلة الطعام في الظروف القاسية، فشعب البيمبا مثال حي وواضح على أن اهتمامنا كبشر لاستهلاك الطعام للنجاة هي في الحقيقة صفة تشكلت في ملايين السنين من التطور الجيني، فكون بعض الأفراد إلى حد ما فوق المعدل الطبيعي للبدانة هو بالفعل ردة فعل طبيعية تطورت خلال فترة زمنية طويلة.

يُوضح الكاتب أن الأشخاص البدناء ليسوا أخلاقيا مستهلكين، أو كسلاء أو سيئين، فهم في الحقيقة في صراع أزلّي مع تركيبهم البيولوجية في بيئة غذائية غيرت بطريقة جذرية خلال الثلاثين سنة المنصرمة، فهو لا يزعم مزعم بعض الناشطين البدناء بأن البدانة شيء يستحق

تأثير جينائنا على علاقتنا مع الطعام وأسلوبنا في التغذية. الدكتور يو موجود في وحدة الأمراض المرتبطة بالتغذية والهضم، ويعمل هنالك كباحث، كذلك يحمل زمالة من كلية ولفسون حيث يعمل هناك كمدرس أيضا. جيليس يو يعمل أيضا كمقدم برامج علمية لقناة الـ BBC البريطانية، وهو لا يحب كتب الحمية الغذائية ويعتبرها «أنها تؤمن أجوبة سريعة وسهلة»، لكن العلم «يستطيع الوصول إلى الحقيقة الفعلية من فوائد الطعام». ويرجح يو أنّ نظام الحياة الحديثة والبيئة الغذائية في الوقت الحالي وفرت سبيلا إلى إنقاص الوزن أكبر معضلة صحية يواجهها المجتمع. الملايين من البشر في الوقت الحالي أكثر من أي وقت مضى يكترون الحديث عن نظام الطعام الصحي والحمية الغذائية وكذلك المنتجات التجارية الخاصة بالحمية وإنقاص الوزن مما جعلها قطاعا صناعيا يقدر بملايين الدولارات.

يو استطرد في بداية الكتاب ببعض من الاكتشافات المستسقة من البحوث العلمية المتعلقة بعلوم الجينات والتخمة، فعلى سبيل المثال وضح أنه وبمجرد استهلاك سبعة من الكالوري (الكلوري هي وحدة لقياس الطاقة المستخلصة من الطعام بعد الهضم والأبيض البيولوجي) كافية بزيادة الوزن إلى 15 كيلوجراما خلال ثلاثين عاما، وضح يو بفكاهة أنه لنفس ذلك السبب يصعب علينا معرفة ملامح الوجه لأصدقاء المدرسة بعد أن أبعدتنا السنوات بعد انتهاء المدرسة لتلتقي

يُقدّم الكاتب يو بطريقة سردية موسعة، وبأسلوب فكاهي رائع في محاولة إجابته عن موضوع معقد جدا، في هذا كتابه «جينات التخمة» يو يجادل أن فهم الجينات وبيولوجيا هضم الطعام، والفوائد الغذائية للطعام المتناول مهم جدا للمقدرة على مجابهة وباء السمنة وتطوير مستوى صحتنا بطريقة فعالة، هذا الكتاب يطرح أفكارا رائدة في هذا المجال كشعاع من ضوء في مجال مليء بالمعلومات المغلوطة غير الدقيقة.

فالكتاب يطرح دلائل مبنية على تقصي علمي من عالم مختص بطريقه سلسة وسهلة الاستيعاب للقارئ غير المتخصص. هذا الكتاب يركز بشكل عام على أسئلة: لماذا بعض الناس يأكلون بشراهة ومقدار أكبر من آخرين؟ وما السبب الذي يجعل من المملكة المتحدة حيث يقطن الدكتور يو تملك أكبر مقاس الخصر في أوروبا الغربية؟ هذا ليس كتاب حمية، ولكنه يتناول تفاصيل كثيرة حول أنواع مختلفة من الحمية، ولماذا قد تعمل أو لا تعمل بطريقة عملية ومضيئة.

الكاتب جيليس يو مختص في علوم الجينات بخبرة أكثر من 20 عاما في بحوث البدانة والجينات وتحكم العقل في تناول الطعام، يو حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كامبريدج وبحوثه ساعدت على الكشف عن مسارات وطرق تحكم الدماغ بتناول الطعام. بحوثه الحالية تركز بشكل عام على فهم كيفية تحكم الدماغ في تناول الطعام وكيفية اختلاف آليه التحكم من شخص إلى آخر، وكذلك



الشخصيات المؤثرة في مجال التغذية. وضح يو أنه فتح صفحة في موقع الانستجرام قام من خلالها برفع صور تتعلق بالطعام والتغذية. ذات يوم قام برفع صورة لوجبة فطور تحتوي على قطعة من النقائق، بسبب تلك الصورة خسر ما يقارب ١٠٪ من متابعين بسبب المعلومات المغلوطة التي تتجول في واقع شبكات التواصل الاجتماعي بأن النقائق من الوجبات غير الصحية تماما.

ومن الطرائف أن يو يقوم بإلقاء محاضرات على طلاب الجامعة حالي القدمين مما يساعد طلابه على تذكره، فهو يحاول أن يكون مميزا في عالم معقد من العلوم، يو أيضا يجرب بعضا من تجاربه على نفسه أيضا، ففي برنامج وثائقي حديث قدمه

في قناة البث البريطانية BBC بعنوان «ثق بي.. أنا دكتور»، تحدث في كتابه أنه خلال هذا البرنامج قام بحمية غذائية خالية من اللحوم، فحدثت ليو بعض التغيرات الجذرية فقد تخلص من ١٠ أرطل فقط باستخدام هذه الحمية، كذلك مستوى الكوليسترول في الدم تناقص بشكل كبير. يو يؤمن بأنه يجب على كل أحد أن يجرب هذا الروتين الغذائي ولو لمرة واحدة. وبناءً على هذه التجربة، قلل يو من معدل تناوله للحوم بمقدار النصف.

في هذا الكتاب الشيق المليء بالقصص والطرائف والتجارب العلمية، تمكن يو من نقل صورة حقيقية عن الفوائد الغذائية والحمية الصحية بناء على قواعد علمية حقيقية مستقاة من علوم تجريبية ليتمكن من دحض المعلومات الغذائية المغلوطة. يختم يو كتابه بقوله «إنه على الشخص إذا ما أراد أن يخسر وزنه أن يبحث عن حمية غذائية تلائم جسمه، كذلك يجب علينا عدم الخوف من الطعام. يجب علينا أن نحبه لكن علينا أن لا نسرف في تناوله». هذا الكتاب هو جسر واضح بين العلوم المعقدة والحياة اليومية. سوف يغير حياتك ربما.

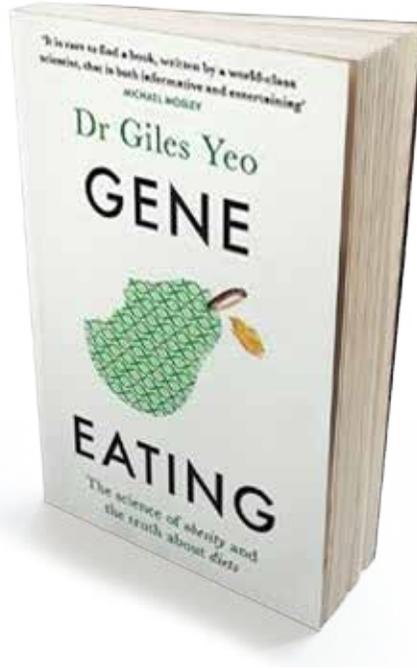
– الكتاب: "الأكل الجيني: علم السمنة والحقيقة حول الريجيم".

– الكاتب: يو جيليس.

– الناشر: "PEGASUS BOOKS"، ٢٠١٩م.

– عدد الصفحات: ٣٥٢ صفحة.

\* كاتب عُمانى



المصابين بمرض السكري، ولاحظ يو من خلال تجميع بيانات الأيض لمجموعة من الأطعمة المختلفة بأن جسمه يتجاوب بطريقة مختلفة نسبة إلى الطعام المتناول، فعلى سبيل المثال لاحظ يو أن الأرز الأبيض يتسبب في زيادة حادة في نسبة السكر في دمه مقارنة بالخبز الأبيض. كانت هذه معلومة صادمة ليو لأنه توقع بديهيا أن الخبز يحتوي على نسبة عالية من السكر مقارنة بالأرز، بسبب الزيادة الحادة في مستوى السكر في الدم عند تناول يو للأرز الأبيض كان سبباً كفيلاً لتوقف يو عن تناول الأرز الأبيض. يتوقع يو أن التكنولوجيا مستقبلا سوف يكون لها دور كبير في التغذية وفي هيكلة حمية غذائية خاصة لأشخاص بعينهم؛ فعلى سبيل المثال يتوقع يو أنه من الممكن مستقبلا التقاط صورة قبل تناول الطعام، وباستخدام الخوارزميات والذكاء الاصطناعي سنتمكن من التعرف على تأثير تلك الوجبة على أجسامنا ومعدل دقات قلبنا ومستوى السكر في الدم بعد تلك الوجبة، لكن يو وضح أنه يتطلب الكثير والكثير من المعلومات الغذائية لنتمكن من الوصول إلى تلك المرحلة.

ذكر يو في كتابه أنه أيضا أنتج فيلما وثائقيًا عن الغذاء الصحي النظيف "clean eating" تطرق فيه إلى أنصاف الحقائق من قبل الغذائيين المسوقين لحميات غذائية غير مبنية على أسس علمية، فهذه الحقائق المغلوطة تلقى صدى واسعاً في شبكات التواصل الاجتماعي من قبل بعض

الحفاوة، فهو واضح جدا بشكل قطعي بأن البدانة تستقطب الكثير من المخاطر الصحية، كأمراض القلب، والسكري، والسرطان، لكنه حذر من استعجال الحكم على المصابين بالتخمة، ولا يتوانا في الحكم على من أسماهم بـ«كبار السن البيض» الذين تمكنوا من بناء إمبراطوريات من ملايين الدولارات في مجال التغذية المبنية على معلومات شاحبة، فتناولها في كتابه واحداً تلو الآخر. فهؤلاء الشخصيات يزعمون أنهم يمتلكون حلا لكل شيء، فحلولهم من حميات غذائية والمتمثلة في حمية الباليو، والحمية العالية في محتوى البروتين، والحمية الخالية من القمح، والحمية الغذائية النباتية، والنظام الغذائي الصحي، كلها معلومات متفككة متلاشية لا توجد لها أي قاعدة علمية مبنية على معلومات مستقصاة من بحوث علمية تجريبية. وضح يو أن بعض هذه الحميات ليس فقط مبنية على قاعدة علمية خاطئة فحسب، لكنه أيضا قد يتسبب بمخاطر جادة وحتمية، فكتاب معجزة الـ "ph" كتاب ينص على حمية غذائية تعتمد على شرب ماء بمستوى معتدل من الـ ph الذي يعرض نمطا غذائيا جديدا أشبه بالمعجزة لعلاج السرطان لا يحمل أي شهادة طبية وتعرض للمحاكمة وسجن في الفترة التي كان يو يكتب فيها هذا الكتاب.

كما يوضح الكاتب أنه قلق جداً من ارتفاع ما يعرف بالـ orthodoxy الخوف من الإسراف في الأكل، المصابون بهذا الهوس معنيون بأسلوب غاية في التفاني حول ما يوجد في طبق طعامهم، هذا الهوس بالفعل يقلص بشكل كبير من تنوع الطعام الموجود في الحمية، وعندما تكسر قاعدة الأكل هذه المعتمدة على تقليص حجم الحمية تقود إلى دائرة من الإحباط والكآبة أو اضطرابات أخرى في تناول الطعام.

وضح يو أن التكنولوجيا تلعب دورا كبيرا لمساعدتنا على الانضباط لحمية غذائية معينة للتمكن من خسارة الوزن، أو على الأقل التكنولوجيا سوف تلعب دورا بارزا مستقبلا؛ ففي تجربة أخرى قام بها يو على نفسه ثبت جهاز داخليا لقياس مستوى الجلوكوز في الدم، تماما مثل تلك الأجهزة التي تستخدم لقياس مستوى السكر في الدم من قبل



## التكنولوجيا والأخلاق والسياسة.. تحديات جديدة مجموعة مؤلفين

عبدالرحمن السليمان \*

تسبب الحاسوب والإنترنت وربط ملايين الحواسيب عبر العالم ببعضها -إضافة إلى الجوال وآلات التصوير والمستشعرات ووسائل التواصل الاجتماعي- في أكبر تغيير ثقافي واجتماعي في تاريخ الإنسانية الطويل. حدث هذا التغيير في فترة زمنية قصيرة نسبياً لا تتجاوز ثلاثة عقود، وأدى إلى نشوء كم لا يحصى من البرامج والأنظمة والتطبيقات الحاسوبية التي أصبحت تحل محل الإنسان في مجالات كثيرة، وتطورت تكنولوجيا الإنسالات حتى كادت الإنسالة -كلمة منحوتة من «إنسان» و«آلة» للدلالة على ال robot- تحل محل الإنسان في كثير من واجباته العملية، وتطورت الشبكة العنكبونية ذاتها إلى جيل جديد من الارتباط الشبكي يتيح التفاهم مباشرة بين الأجهزة المرتبطة ببعضها البعض، بدلاً من التفاهم الحالي بين الإنسان والحاسوب والجوال عبر شبكة الإنترنت العالمية. يوفر هذا التطور التكنولوجي المعلوماتي إمكانيات كبيرة للإنسان، ويحتوي في الوقت نفسه على مخاطر جسيمة عليه.

وخياراتنا الحزبية للتحكم في سلوكنا الانتخابي من خلال تقديم دعاية سياسية أحادية لنا مشفوعة بأخبار زائفة.

وتختتم الكاتبة فصلها المثير بالقول «إن التكنولوجيا ليست حيادية وليست بدون قيم»؛ لأننا أمام ظاهرة «التكنولوجيا المقنعة»، وهي تكنولوجيا طوّرت خصيصاً بهدف التحكم في سلوك المستعمل -مستعمل الإنترنت- وفي قناعاته الفكرانية. يتطلب هذا التحدي «حكومة قوية تقود هذا التحول الرقمي»، وليس حكومة لا مبالية نظراً لنتيجة ذلك التحكم التكنولوجي في العقول، عن بُعد، على الأمن القومي للدول.

وتتوقف الكاتبة كارين دي كراكر الخبيرة في تطبيق التكنولوجيا الرقمية من أجل سلامة المدن، عند البعد الأخلاقي لتطبيق التكنولوجيا الرقمية بشكل واسع على مستوى الأحياء السكنية. وقيمت في مشاركتها مشروع «المنطقة الذكية في أنتورب»، وهو مشروع تجريبي وأ نموذج لما ستكون عليه مدينة الغد، يقتصر تطبيقه على حي واحد من أحياء مدينة أنتورب «كما تنصص الكاتبة. طورت هذا المشروع شركة تحمل الاسم (Imec City of Things) أو «شركة إيمك لمدينة الأشياء». والاسم محاكاة لاسم الجيل الجديد من الإنترنت، وهو (Internet of Things) أو «إنترنت الأشياء». «يهدف هذا المشروع إلى فحص تطبيق تكنولوجيا «إنترنت الأشياء» الرقمية التي تجعل المدينة تعمل بشكل أفضل من خلال تطبيقاتها الكثيرة، وتضيف الكاتبة: «تجمع هذه التكنولوجيا معلومات وبيانات كثيرة بطريقة ذكية، منها المعلومات المتعلقة بحركة تنقلنا داخل المدينة أو بنوعية الهواء فيها، ثم تُوظف هذه المعلومات والبيانات المجموعة بطريقة ذكية في تطوير سياسة بلدية ملائمة». مثلاً: تمنع مدينة أنتورب دخول السيارات إليها التي تنبعث منها غازات نتيجة للاحتراق في المحرك بنسبة أكثر من النسب المسموح بها في المعايير التي أقرها الاتحاد الأوروبي لحماية الهواء والبيئة من التلوث (الآن: ابتداء من المعيار الأوروبي 4). ولتطبيق هذا القانون وتغريم المخالفين، تطبق تكنولوجيا «إنترنت الأشياء» من خلال ربط الكاميرات والمستشعرات المركبة في كل مكان داخل المدينة ببيانات السيارات وبيانات المالكين وخريطة المدينة المفصلة؛ بحيث يُصنع لكل سيارة تدخل المدينة ملف رقمي يبين سنة تصنيعها ونوع الوقود المستعمل فيها ومعايير انبعاث الغازات المسموح به واسم مالكيها وجميع بياناته الشخصية. لقد اتخذ إجراء رقمي مماثل من أجل حساب عدد المواطنين الذين يعبرون ممرات المشاة عند اشتعال الضوء الأحمر. «يهدف هذا الإجراء التجريبي المتخذ عند تقاطع خمسة شوارع إلى معرفة عدد المخالفين والتوقيف الذي تكثر المخالفات فيه وبالتالي الأسباب الداعية إلى المخالفات وهذا كله بهدف إعادة النظر في وضعية ذلك التقاطع وسن سياسة مرور مناسبة تؤدي إلى التأثير في سلوك المشاة، تكون بمثابة حل للمشكلة القائمة بإزالة أسبابها. لا تكمن المشكلة في البحث عن حلول مناسبة لمشاكل

بأحجام مختلفة. أدى استعمال هذه المادة المتطرد إلى بناء مدن كبيرة وضعت حكامها أمام تحدٍ كبير ألا وهو توحيد سكانها في مجتمعات متماسكة وإدارتها بطريقة فعالة. «كانت روما هي الأ نموذج الأول في أوروبا القديمة، وكانت قرطبة الإسلامية»، إبان حكم الأمويين «الأ نموذج الأوروبي الأول في العصور الوسطى». وإذا كان بناء المدن يحتاج إلى مواد وهي هنا الخرسانة أو الباطون، فإن بناء المجتمعات وتنظيم العلاقات بين المواطنين غير ممكن بدون وسائل التواصل التي تطورت عبر التاريخ ببطء قبل أن تعرف القفزة تلو الأخرى وصولاً إلى اختراع المحركات والسيارات والطائرات والآلات والهاتف. و«جاء اختراع الحاسوب والإنترنت ليحدث أكبر تغيير في العالم؛ وتطورت الإنترنت ذاتها إلى جيل جديد: إنترنت الأشياء، التي صارت تربط مليارات الحواسيب والجوال والكاميرات والمستشعرات والإنسالات وأدوات الذكاء الاصطناعي ببعضها بعض»، وتتيح التفاهم بينها دونما حاجة إلى وجود مستعمل ما في مكان ما يتحكم في هذه الأجهزة والأدوات كما هي الحال عليه في الإنترنت التقليدية. وختم المحافظ منوهاً بضرورة بقاء الإنسان متحكماً في هذا التطور في جميع الحالات.

تعالج الكاتبة ناتالي دوماري، الإطار في «اتحاد المدن والبلديات الفلمنكية»، في بحثها قضية التكنولوجيا والأخلاق، وتتوقف عند «العلاقة الشائكة بين التكنولوجيا وقانون الخصوصية»، وترى أن التطبيقات المتزايدة في العالم الرقمي «تسهل عملية تواصلنا مع بعضنا بعض وتعمل بالتالي حياتنا مريحة». وعلى الرغم من أن هذه التطبيقات «أو قسم كبير منها» سهل الاستعمال ومجاني، «فإننا نقدم من خلالها معلومات كثيرة عنا، بشعور أو بدون شعور». وتضيف الكاتبة أن مجانية هذه البرامج أمر غير واقعي وغير صحيح «لأننا ندفع ثمنها غالباً ببياناتنا الخاصة وبالتحديد من خلال سلوك استعمالنا للإنترنت، ومن خلال علامات الإعجاب التي نضعها عند بعض الأنشطة، ومن خلال نشر ردود ومن مشاركة تحديد الموقع مع تطبيقات أخرى.. وهذا ما يجعل شركات الإنترنت العملاقة مثل جوجل وفيسبوك وأمازون يعرفون الكثير عنا، الشيء الذي يجعلهم يملكون سلطات كثيرة، يمارسونها علينا دونما شعور منا، ذلك أن البيانات التي تجمعها هذه الأدوات عنا «تمكن أصحابها من معرفة معطياتنا الديموغرافية واهتماماتنا وخياراتنا ورغباتنا وسلوك شرافتنا». وهذا يجعل الشركات المنتجة توجه دعائها إلينا بطريقة فعالة. وتضيف الكاتبة: «إن البيانات تساعد على تطوير خوارزميات للتحكم في سلوكنا عبر الإنترنت؛ لذلك تعتبر بياناتنا ثمينة جداً بالنسبة إليهم». وتتوقف الكاتبة عند فضيحة الشركة الإنجليزية «كامبريدج أناليتيكا»، التي يكمن خطرها في أن العلاقة الشائكة بين التكنولوجيا والخصوصية في وسائل التواصل الاجتماعي «لا يقتصر تأثيرها على الأهداف التجارية» (معرفة سلوكنا الشرطي للتحكم فيه)، «بل يتجاوز إلى التحكم في قناعاتنا الفكرانية

وصار هذا التطور التكنولوجي السريع يشغل بال الفلاسفة والمراكز البحثية ومؤسسات الخبرات الفكرية (Think Tanks) ورجال السياسة. من هذه المؤسسات «مجلس الاستقامة» الذي يراقب أداء المجلس البلدي والموظفين في مدينة أنتورب، عاصمة الجزء الناطق باللغة الهولندية في بلجيكا، والذي عقد بتاريخ 12 يونيو 2019 مؤتمراً في مدينة أنتورب بعنوان «التكنولوجيا والأخلاق والسياسة.. تحديات جديدة»، نشرت الأبحاث المقدمة فيه في كتاب ضم بين فتيه مشاركات أربعة عشر خبيراً في قضايا الحاسوب والإنترنت والأمن الرقمي وتكنولوجيا المعلومات.

صيفت فصول الكتاب بعناية فائقة لأن الغرض من المؤتمر والكتاب كان لفت نظر المواطنين إلى نتائج التطور التكنولوجي في مجال الحاسوب والتواصل عبر الإنترنت على حريتهم الشخصية وعلاقاتهم الاقتصادية والاجتماعية من جهة، وتقديم المعلومة الراهنة ورؤية جديدة للسياسة وصناع القرار من أجل مراجعة القوانين القائمة وسن قوانين جديدة تتوافق مع الحالة التكنولوجية الجديدة من جهة أخرى. الكتاب وثيقة لأنه يتوقف عند نتائج التطور التكنولوجي السريع في مجال الحاسوب والإنترنت وبرامج التواصل بشكل عام على المنظومة الثقافية والأخلاقية للشعوب في ظل عجز الحكومات والمؤسسات التشريعية فيها على مواكبة هذا التطور التكنولوجي السريع تشريعاً وتقنياً. فقانون الخصوصية البلجيكي -على سبيل المثال- يعاقب، شأنه في ذلك شأن معظم قوانين العالم المماثلة، على نشر معلومات ذات طابع خصوصي عن شخص آخر. لكن مفهوم الخصوصية تغير كثيراً في عصر «الفيسبوك» و«الإنستجرام» وأخواتهما من برامج التواصل الاجتماعي التي ينشر الناس فيها معلومات كثيرة عن حياتهم الخاصة وعلاقاتهم العاطفية ومغامراتهم الشخصية وحتى ملابسهم وأكلهم اليومي، ويعززون ذلك بالصور والأفلام المسجلة التي لا تترك مجالاً للخيال؛ بحيث لم يعد هذا القانون ينسجم مع التغييرات التي طرأت على فهم الناس للخصوصية اليوم وعلى تعاطيهم الحالي لها.

تلتقي فصول الكتاب مع بعضها حول العلاقة بين التكنولوجيا والأخلاق والسياسة. ويمكن اختزالها في أربعة محاور كبيرة تحوم فصول الكتاب حولها، أعرض لها في هذه المراجعة. وأتوقف، قبل العروج عليها، عند مقدمة محافظ مدينة أنتورب ورئيس حزب (التحالف الفلمنكي الجديد) أكبر أحزاب بلجيكا، الذي قدم للكتاب بمقدمة ألقاها أثناء افتتاحه المؤتمر. توقف محافظ مدينة أنتورب في مقدمته عند مقولة الإمبراطور الروماني الشهير أغسطس -توفي سنة 14 ميلادية- وهو على فراش الموت: «ورثت مدينة من حجر، وورثت مدينة من مرمر». تشير هذه المقولة، التي يمدح أول إمبراطور روماني نفسه فيها، إلى أهم اختراع في الإمبراطورية الرومانية وهو ال opus caementicium "، أي الخرسانة أو الباطون، وهو مادة مكونة من الأسمنت والرمل والماء بالإضافة إلى حصي



وغلاق أبواب الاجتهاد، حسب رأي الكاتب. وفي الوقت نفسه يرى الكاتب أن التطور التكنولوجي السريع وحيلولة الآلة محل الإنسان في سياقات كثيرة بحاجة إلى ضبط قانوني وتشريع أخلاقي؛ لأن الخلل في توازن العلاقة مع العالم يزداد بسرعة مقلقة. «لقد صار ثمة خلل في علاقتنا مع العالم بحيث أصبح هو الذي يصنعنا، بدلاً من أن نصنعه نحن. ويدلل الكاتب على تغول هذه الإشكالية في مجال الذكاء الاصطناعي، خصوصاً في مجال توظيف «الإنسالات» المتزايد في العالم. يقول: «لا نعلم إلى أين سيقودنا هذا التوظيف، لكن الثابت قطعاً أن نتائج ذلك على المجتمع سوف تكون جذرية التأثير، على الأخص على قطاع العمل والأنشطة الإنسانية المتعلقة به». فها هم علماء ومثقفون مثل ستيفن هوكينغ وغيره، وصناعيون مثل بيل غيت وغيره، «يدعون إلى فرض ضرائب على الإنسالات، وإلى إعادة هيكلة الضمان الاجتماعي بحيث يصير لكل إنسان في هذا العالم دخل مخصص به»، بدون عمل لأن الإنسالات ستقوم بالعمل بدلاً من الإنسان. «لذلك صار لزاماً عليها أن تدفع ضرائب عن العمل الذي تقوم به»، ويرى الكاتب أن بمقدور الإنسان «أن يبحث عن السعادة خارج إطار العمل التقليدي. لكن مجتمعاً يستعاض عن أكثريته بأدوات تكنولوجية من دون أن يجد بديلاً مناسباً للأكثرية، مجتمع لا يمكن له أن يبقى متمسكاً، ومآله إلى التفكك. فهذه احتجاجات الستر الصفراء في فرنسا ليست إلا إنذاراً مسبقاً لما قد تؤول الأمور إليه»، عند اختلال الموازين في العلاقة بين الإنسان والآلة. ويختم الكاتب بالتوقف عند ما اصطلح على تسميته بالذكاء الاصطناعي اللطيف، الذي يحاول الإجابة عن السؤال التالي: «ما هو السلوك المثالي الذي يجب على الذكاء الاصطناعي وأدواته أن يسلكه كي يسهم في تقدم الإنسانية؟ بصيغة أخرى: كيف يمكن لنا أن نبقي إنسانية ذاتية التعلم والتطور تحت السيطرة؟» ثم يختم الكاتب فصله هذا بالقول: «بانتظار ما قد يسفر النقاش، الذي يهدف إلى تقديم إجابة عن هذا السؤال الشائك، عنه في المستقبل القريب، تبقى قوانين إسحاق آسيموفس الثلاثة التي وضعها لتنظيم عمل الإنسالات، سارية المفعول، وهي:

- القانون الأول: لا يحق للإنسالة أن تصيب الإنسان أثناء عملها بسوء، أو أن تسبب له إصابة أثناء توقفها عن العمل.

- القانون الثاني: يجب على الإنسالة أن تنفذ الأوامر التي يأمرها بها الإنسان، اللهم إلا إذا شكلت تلك الأوامر انتهاكاً للقانون الأول.

- القانون الثالث: يجب على الإنسالة أن تحمي وجودها بنفسها بشرط ألا تتعارض هذه الحماية الذاتية لنفسها مع القانون الأول والقانون الثاني.

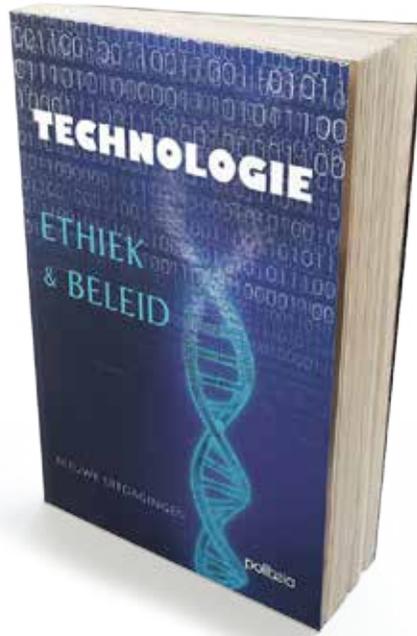
الكتاب مهمٌ للغاية، وقراءته واجبة على كل إنسان، واطلاع فلاسفة الأخلاق والمصلحين الدينيين والاجتماعيين وصناع القرار عليه واجب، لأنه موجه إليهم جميعاً.

- الكتاب: "التكنولوجيا والأخلاق والسياسة.. تحديات جديدة".

- المؤلف: مجموعة مؤلفين - المحرر: ديرك كولير.

- الناشر: دار بوليتيا، بلجيكا، باللغة الهولندية، 2019 م.

- عدد الصفحات: 178 صفحة.



تنصبيها على حاسوبه أو تركيبها في جواله- إجراء ناقص ومضلل؛ لأنه لا يشرح للمستعمل نتائج تلك البرامج والتطبيقات على حريته الفردية وحقه في تقرير مصيره. لذلك يقترح استبداله بإجراء «الموافقة المستنيرة»، المعمول به في المجال الطبي، والذي يقتضي شرح جميع المخاطر التي قد تنتج عن إجراء عملية جراحية ما للمريض؛ بحيث يوافق هذا الأخير على إجراء العملية الجراحية عليه بناء على تلقيه جميع المعلومات المتعلقة بها. فيمارس الشخص المريض المعنى بالأمر حقه في تقرير مصيره ويوافق، بناء المعلومات المقدمة له مسبقاً، على خضوعه للعملية، أو يرفض الخضوع لها على بنية من الأمر. ويستنتج الكاتب بأنه «لا حق تقرير مصير بدون موافقة مستنيرة، ويدعو بقوة إلى سحب ذلك على استعمال الإنسان للتكنولوجيا الرقمية واستهلاكه لمنتجاتها التي أصبحت تستعصي على الحصر والترويض.

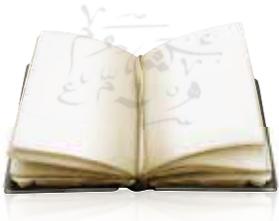
ويتأمل محرر الكتاب ديرك كولير المدير التنفيذي الأسبق لشركة جونسون أند جونسون، إحدى كبريات شركات الأدوية في العالم، في فصل مطول يحمل العنوان التالي: «التكنولوجيا وإنسانيتها. التأمل فلسفياً في عالمنا الشجاع»، في التطور التكنولوجي وأبعاده الإنسانية. وينطلق من السؤال الذي شغل الحكماء والعلماء والفلاسفة والمصلحين الدينيين عبر القرون، وهو: «هل الإنسان حر؟» وهل هو مخير أصلاً أم مسير؟ ويضيف بأن «مكتبات كبيرة تملأ في كل عصر عند محاولة الإجابة على هذا السؤال الأبدي». ويضيف بأن «الواقع يشهد بأننا نحن الذين نصنع عالمنا وأن عالمنا -في الوقت نفسه- هو الذي يصنعنا، ويرى أن «التقدم إرادة إلهية». ثم يستعرض أقوال الفلاسفة حول الحرية ويتوقف عند تصور الفيلسوف الهولندي باروخ سبينوزا (1632-1677) للحرية وهي «التصرف باستقلالية عن الأسباب». في هذا الحالة «يتمتع فقط الإله أو الطبيعة بالحرية المطلقة لأن الإله يكون أو الطبيعة تحدث نتيجة لسببته هو أو سببته هي». وما عدا الإله أو الطبيعة فهو مسير وغير مخير! ثم يستحضر الكاتب العلاقة الشائكة بين العقل والنقل في الديانات السماوية خصوصاً ويرى في «فضول آدم غير الصحي» في الجنة سبباً لطرده منها بسبب عصيانه الأوامر الإلهية والاقتراب من «شجرة المعرفة» التي حرمت ثمرتها عليه. ويستنتج أن الإنسان مجبول على ذلك الفضول المعرفي. لذلك نشأت الإشكالية بين النقل والعقل، «العقل» الذي كان المصلح الديني الألماني مارتن لوتر (1483-1546) يسميه «عاهرة الشيطان»، وبسبب هذه الإشكالية «وضعت الكنيسة الكاثوليكية، دليل الكتب المحرمة- التي أُلغيت سنة 1966، ومن أجلها يدعو الإسلام السلفي إلى محاربة البدعة

حلها واجب؛ مثل: تجاهل الضوء الأحمر، بل في تسجيل بيانات جميع المارين عبر ارتباط جوالاتهم، تلقائياً، بالمستشعرات التي ترتبط بالكاميرات والبرامج والتطبيقات التي طورت من أجل ذلك والتي ترتبط كلها ببعضها من خلال تكنولوجيا «إنترنت الأشياء». «وهذا يطرح أسئلة مشروعة تتعلق بالخصوصية والبعد الأخلاقي لهذا المشروع» الذي هو من جهة ضروري لتطوير أداء المؤسسات البلدية من خلال سياسات مبنية على بيانات دقيقة للغاية، ومن جهة أخرى يمس المواطنين في واحد من أهم مكتسباتهم في العصر الحديث: الحرية الشخصية والحفاظ على الخصوصية وحمايتها من الاستغلال.

ويتطرق الكاتب جان بول فان أفرمات المدير التنفيذي لشركة الحماية G4S- فروع بلجيكا وفرنسا ولوكسمبورج والمغرب- في دراسته إلى توظيف التكنولوجيا الرقمية والإنترنت عموماً وإنترنت الأشياء خصوصاً في القضايا الأمنية التي لم تعد من صلاحية الحكومات في الغرب فحسب، بل تشترك في إدارتها شركات تنتمي إلى القطاع الخاص مثل شركة G4S وغيرها. ينطلق الكاتب من التقرير بأن الإنسان «يقوم- من أجل جعل حياته أسهل- بالاستسلام للتكنولوجيا لأنه ييؤج لها بجميع أسرارها». ويقارن الكاتب هذا التطور الرقمي بكرة الثلج عندما تتدحرج من أعلى منحدر جبل ثلجي، فتبدأ صغيرة ثم يزداد حجمها وثقلها وتأثيرها أثناء الدحرجة. يقول: «كلما شاركنا الآخرين بمعلوماتنا وبياناتنا الشخصية، كلما تضاءلت نسبة الفوائد التي نجنيها من هذه المشاركة؛ وكلما تعودنا على ذلك، كلما تراجع تحفظنا على هذا التطور». ويضيف: «لقد أصبحت الكاميرات والمستشعرات منصوبة في كل مكان، وصارت الطائرات المسيرة تطير فوقنا جميعاً، وصار جهاز التليفزيون يعرف بالضبط ماذا نشاهد، ومتى نشاهد، وكم من الوقت نشاهد». لقد أصبحت الجوالوات حياتنا، وأصبحتنا نركب التطبيق تلو الآخر من أجل تنظيم حياتنا وجعلها مريحة، ولكن هذه التطبيقات أصبحت تقودنا قوداً، وتتحكم في حياتنا تحكماً بحيث حان الوقت للتأمل أخلاقياً في نتائج هذه التكنولوجيا الرقمية، التي تراقبنا عن كثب، علينا.

ويتوقف الكاتب في دراسته عند مفهوم حق تقرير المصير ويدعو إلى «ربطه الدائم بمبدأ حرية الإنسان الفردية التي تمكنه من التقرير وتحديد الطريقة التي يريد، هو، من خلالها، أن يعيش في المجتمع». ويستحضر الكاتب أن حق تقرير المصير ومبدأ الحرية الفردية -اللذين نص عليهما الإعلان العالمي لحقوق الإنسان- أساسان تفرعت عنهما مجموعة كبيرة من الحقوق الأساسية. «وإذا كان مبدأ حرية الإنسان الفردية يركز على حماية الفرد من تدخل الحكومات والشركات والأفراد الآخرين في حياته، فإن حق تقرير المصير يركز على التقرير بأن الإنسان راشد وأنه يملك السلطة التقديرية بحيث يقرر هو الطريقة التي يراها مناسبة لممارسة حرياته». ويرى الكاتب أن هذه معضلة كبيرة لأن الواقع اليوم يجعل التكنولوجيا هي التي تقرر بدلاً من الإنسان دون أخذ موافقته في ذلك. وهذا باد للعيان، ليس في الأمور الحياتية البسيطة نسبياً مثل توظيف التكنولوجيا الرقمية والمستشعرات في ادخار استهلاك الطاقة (كادخار كهرباء الإنارة في الأماكن العمومية التي لا يمر منها أحد) فحسب، بل في القضايا المصيرية أيضاً. مثلاً كأن تقرر سيارة تقاد بطريقة آلية ما الذي ينبغي فعله عند وقوع حادث لا يمكن تفاديه عند عبور شخصين اثنين ممر مشاة أثناء اشتعال الضوء الأحمر. هل تقرر التكنولوجيا المتحركة في السيارة «بدلاً من السائق» بمن تصطدم السيارة، وبمن لا تصطدم؟ بكلام آخر: هل تقرر التكنولوجيا في هذه الحالة من من الاثنين يموت ومن منهما يبقى على قيد الحياة؟ ويختم الكاتب بالقول إن القوانين الوطنية لا تواكب هذا التطور التكنولوجي الهائل ولا تراقب تغوله في الحياة العامة والخاصة للناس. ويرى الكاتب أن الإجراء الذي يقوم به مطورو البرامج الحاسوبية والتطبيقات الرقمية المستعملة في الجوالات- أي طلب موافقة المستعمل قبل

\* أستاذ الترجمة في جامعة لوفان في بلجيكا  
عضو "مجلس الاستقامة" في مدينة أنتورب



## عملية الإصلاح الاقتصادي في الصين وو جينج ليان

حسام المغربي \*

من دولة عانت في الماضي من الحروب والتباينات والصراعات الأيديولوجية، واقترب اسمها بالفقر والمجاعات، إلى بلد يضم أكبر عدد من أصحاب المليارات في العالم، وصار كل ما فيه من إنجازات على مختلف الأصعدة يوصف بـ«المعجزة».. تلك هي الصين الحديثة التي أصبحت لا تتمتع باقتصاد هو الثاني في قوته عالمياً بعد الولايات المتحدة منذ العام ٢٠١٠ فحسب، بل غدت تمسك بكثير من خيوط الاقتصاد العالمي. كل ذلك كان بفضل مسيرة «الإصلاح والانفتاح» التي بدأتها الصين قبل أربعين عاماً على يدي دينغ شياو بينج، السياسي والمنظر الذي قاد جمهورية الصين الشعبية التي تحتفل بذكرى تأسيسها السبعين هذه السنة، وأسهمت في أن تتبوأ البلاد مكانتها الحالية.

المخطط إلى اقتصاد السوق، وإغفال أخطار الركود والتراجع التي واجهتها عملية الإصلاح والانفتاح من وقت لآخر في مسيرتها.

### بدليل منطقي

وتابع الكاتب شرحه لتلك النقطة مشيراً إلى أن الصين طرحت ونفذت خيار الإصلاح الاقتصادي الذي اعتبرته بديلاً منطقياً للاقتصاد المخطط المسيطر في ذلك الوقت، وحلاً مقبولاً للسياق التاريخي لإفلاس خطوط التصنيع التقليدية.

وكانت الحكومة الصينية قد بدأت تجربة واستكشاف فرص نجاح الإصلاح الاقتصادي المقدمة عليه في القطاعات التي كانت سيطرة الدولة عليها أقل صرامة (مثل الزراعة والخدمات العامة الحضرية)، وفي المناطق المعزولة نسبياً (مثل المناطق الاقتصادية الخاصة الساحلية). أما بالنسبة للقطاع الاقتصادي الذي تملكه الدولة، والذي يعد الهيكل الرئيسي للاقتصاد التقليدي المخطط، فقد تأثرت قواعد إصلاحه المبكرة بالنظرية الاشتراكية لأسواق أوروبا الشرقية.

وفي مسعى لتحقيق الهدف المتمثل في تحسين الكفاءة الاقتصادية تم دمج مؤشرات أسعار السوق وآليات الحوافز بشكل جزئي مع حفاظ الإطار الأساسي للنظام الاجتماعي والاقتصادي على النمط السوفيتي. لكن النتيجة كانت التأرجح بين فقد السيطرة على الرقابة الداخلية للمؤسسات المملوكة للدولة وتعزيز سيطرة الدولة عليها، ما أظهر بوضوح أن الإصلاحات المبكرة في الصين لم يكن لها هدف واضح تجاه السوق، بل حاولت التخلص من التحديات الناتجة عن الاقتصاد المخطط الجامد والأيديولوجية المتمثلة في «دولة قوية تستطيع فعل أي شيء» من خلال تنفيذ بعض التدابير الاقتصادية المرنة والممزوجة بالبراجماتية.

إلا أن الكاتب عاد وقال إن البراجماتية في الأيديولوجية التوجيهية للإصلاح والانفتاح كانت «سيفا ذا حدين»، وأثرت بشكل عميق على مسار الإصلاح الاقتصادي الصيني وأدائه

تتناول الأوضاع الاقتصادية بشكل خاص منها «نظام السوق التنافسي» و«الإصلاح الاقتصادي المعاصر في الصين» و«اختيار نموذج النمو في الصين» و«توجه جديد للاقتصاد الصيني» وحققت جميعها مبيعات قياسية في داخل الصين وخارجها.

### انفتاح السوق هو الحل

يرجع المؤلف، بوصفه مشاركا وشاهداً وباحثاً في مسيرة الإصلاح الاقتصادي الصيني، الفضل في نمو اقتصاد بلاده إلى «انفتاح السوق وتوسعه»، معللاً ذلك بأن هذه الخطوة الجريئة منحت الشركات والمواطنين على السواء فرصة الاختيار. وأشار في كتابه «عملية الإصلاح الاقتصادي في الصين» إلى أنه على الرغم من أنه لا تزال هناك قيود متمثلة في أنماط تنظيم الإنتاج وسلوك تسعير السلع وتوفير اليد العاملة وأسلوب استهلاك السلع والخدمات، إلا أن المواطنين أصبحت لديهم حرية الاختيار التي لم يكن ممكناً تخيلها قبل تنفيذ «الإصلاح والانفتاح».

ويرى الكاتب أن هذا التوسع في الاختيار القائم على السوق أوجد ظروفاً مواتية للمزج الفعال بين اليد العاملة ورأس المال والتكنولوجيا في وقت وفضاء محددين؛ وبالتالي أطلق إمكانات النمو الاقتصادي في الصين.

ومن هذا المنطلق، عزا الكاتب عملية تعميق الإصلاح الاقتصادي التي شهدتها الصين إلى مواصلة توسع السوق من حيث النطاق الجغرافي ومدى التوسع. وذكر أنه بحسب السياق التاريخي للاقتصاد المخطط، فإن انفتاح السوق وتوسعه ليست «عملية خطية سلسلة». معتبراً أن تلك النظرة التي ترى أن الإصلاح والانفتاح في الصين خياراً سياسياً قائم على «العقلانية الاقتصادية» بحسب مبدأ فلريدو باريتو، وصفاً مبسطاً ومجتزأً لعملية الإصلاح الاقتصادي التي شهدتها الصين، كونها لا تنطرق إلى الأسباب التي دفعت الصين إلى فتح السوق «بحذر» في ظل العبء التاريخي الثقيل للاقتصاد المخطط، وافتقارها لتفسير أسباب العديد من التحولات والانعطافات خلال مسيرة التحول من الاقتصاد

وفي كتاب «عملية الإصلاح الاقتصادي في الصين» الصادر عن «دار النشر لموسوعة الصين» عام ٢٠١٨، للمؤلف وو جينج ليان، أبرز علماء الاقتصاد الصينيين، يمكن للقارئ أن يستطلع إنجازات السنوات الأربعين الماضية من عمر مسيرة الإصلاح والانفتاح وعملية المد والجزر التي صاحبها بشكل منهجي، وكذلك التباينات بين الاقتصاد الموجه والاقتصاد المخطط، وموجات التطور أو الانكماش لاحقاً على الاقتصاد الصيني.

فالصين بعد أربعة عقود على إطلاق مسيرة «الإصلاح والانفتاح» حققت تحولاً ملحوظاً واكبه تضاعف اقتصادي الوطني ٣٣,٥ مرة بين عامي ١٩٧٨ و ٢٠١٧، لتزيد قيمته من ٣٦٧,٩ مليار يوان إلى ٨٢,٧ تريليون يوان مشكلاً نسبة قدرها ١٥٪ من الاقتصاد العالمي. وبحسب بيانات منظمة التجارة العالمية، تعتبر الصين أكبر مصدر للسلع في العالم، بقيمة ١٦,٤ تريليون يوان في ٢٠١٨، فيما كانت صادراتها في عام ١٩٧٨ لا تتجاوز ١٦,٨ مليون يوان. كما تعتبر الصين ثاني أكبر مستورد للسلع على مستوى العالم، بقيمة ١٤,١ تريليون يوان في ٢٠١٨.

ويعد المؤلف وو جينج ليان باحثاً بارزاً في مركز بحوث التنمية التابع لمجلس الدولة (مجلس الوزراء)، وهو كذلك عضو اللجنة الدائمة للمجلس الاستشاري السياسي للشعب الصيني ونائب رئيس اللجنة الاقتصادية التابعة لها، ونائب رئيس اللجنة الاستشارية لخبراء تكنولوجيا المعلومات في مجلس الدولة، ونائب رئيس اللجنة الأكاديمية لمركز بحوث التنمية لمجلس الدولة. ويتولى رئاسة تحرير مجلة «الإصلاح» ومجلة «المقارنة»، ومجلة «تعليقات هونغ فان» والتي تعنى بالدراسات القانونية والاقتصادية.

وقد حصد الكاتب والاقتصادي الشهير العديد من الجوائز المرموقة منها جائزة «سون يه فانغ» الوطنية في الاقتصاد والعلوم لخمس مرات متتالية من العام ١٩٨٤ وحتى العام ١٩٩٢، وجائزة «الإنجازات البارزة» لجمعية الإدارة الدولية في العام ٢٠٠٣، وجائزة «الإسهام البارز» الوطنية لعلوم الاقتصاد لعام ٢٠٠٥. وقد سبق له كتابة العديد من العناوين التي



في الصين وتأثيراته بداية من العام 1978 وحتى 2018، فاتحا أمام القارئ المشهد المستقبلي؛ حيث يناقش الفصلان الأول والثاني على التوالي حتمية الإصلاح الاقتصادي الصيني والقيود التاريخية لاختيار مساره المبكر ارتكازا على الخلفتين الاجتماعية والاقتصادية.

فيما تقدم الفصول الثالث والرابع الخامس فكرة «الإصلاح التزايدي» في المرحلة المبكرة، واستكشاف أهداف الإصلاح في منتصف الثمانينيات، وخلفيات قرار تنفيذ الإصلاح الاقتصادي الشامل في التسعينيات، وكذلك تأثير هذه القرارات على الوضع الاقتصادي الوطني بأسره. ليركز الفصلان السادس والسابع على الزخم الكبير للنمو الاقتصادي الصيني من خلال مبدأ «الخروج» والانفتاح على العالم وإزالة الحواجز الداخلة، وخلق تدابير الإصلاح الموجه نحو السوق، بما في ذلك الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، وإنشاء سوق ضخمة ومتكاملة داخليا ودوليا بشكل متزايد أمام الشركات الصينية، وتعزيز دور السوق في تخصيص الموارد بشكل كبير وتوفير ظروف ملائمة للارتقاء بقوة الصين الاقتصادية في مطلع القرن الجاري.

وكشفت الفصول الثامن والتاسع والعاشر القصور المؤسسي والمخاطر الرئيسية القائمة في الاقتصاد الصيني؛ والمتمثلة في: الميل نحو الاقتصاد المخطط في إصلاح المؤسسات المملوكة للدولة وتخطيط الاقتصاد المملوك للدولة، وكذلك الدفع لصالح الاستثمار المفرط بسبب تشوهات أسعار الأراضي ورأس المال وغيرهما من عوامل السوق والحماية المحلية والضعف الاقتصادي الكلي. ويحلل المؤلف في الفصل الحادي عشر تأثير عيوب وتشوهات النظام الاقتصادي هذه على الشقين الاقتصاد والاجتماعي في الصين.

ويتناول الفصل الأخير من هذا الكتاب آفاق تعميق الإصلاح الشامل في الصين، ويشير إلى أن أيديولوجية التوجيه الاقتصادي والمبادرات السياسية الرئيسية منذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني قد وضعت أساسا سياسيا قويا لمزيد من الإصلاحات الموجهة نحو السوق دون إغفال العقبات القائمة، وما إذا كان بالإمكان تنفيذ خطة الإصلاح الحالية بشكل ثابت أم لا، كونها تمثل مفتاح التنمية السلسلة والمستدامة للصين.

– الكتاب: «عملية الإصلاح الاقتصادي في الصين».

– المؤلف: وو جينج ليان.

– الناشر: دار النشر لموسوعة الصين، 2018م، باللغة الصينية.

– عدد الصفحات: ٤٠٤ صفحات.

\* باحث ومترجم عربي مقيم في الصين



المزيد من آليات السوق لتخصيص الموارد، ستكون جودة النمو الاقتصادي وسرعته في الصين أفضل، وسيزدهر الابتكار وريادة الأعمال في القطاعات الاقتصادية غير المملوكة للدولة، ما يوفر بيئة خارجية مريحة أكثر لإصلاح المؤسسات المملوكة للدولة.

ويرى المؤلف أنه لكي تتمكن الصين من معالجة التحديات التي تواجه عملية الإصلاح الاقتصادي، يتوجب عليها مواصلة تعميق الإصلاح الشامل الموجه للسوق وتعزيز سيادة وحكم القانون وزيادة دور السوق في عملية تخصيص الموارد، دون الحاجة إلى تدخل مركزي من الدولة لكي تنظم عملية تنسيق الإنتاج.

ولكن المؤلف قال إنه على الرغم من إدراج هدف «جعل السوق تلعب دورا حاسما في تخصيص الموارد» ضمن قائمة قرارات الجلسة العامة الثالثة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني، إلا أن الخلاف بين توجه اقتصاد السوق والعودة إلى النموذج الاقتصادي المخطط سيظل قائما، وستواصل مسيرة الإصلاح والانفتاح في الصين مواجهة التحديات الهائلة، مضيفا أنه في غياب فهم واضح وإمام بجميع هذه التعقيدات، فإن الطريق إلى تعميق الإصلاح الشامل الموجه للسوق وسيادة القانون سيكون صعبا وقد يتعرض لمخاطر الفشل.

### النسق الناظم للكتاب

يحتوي الكتاب -الذي تطلب إنجازها قرابة الثلاثة أعوام- على مدخل ومقدمة واثني عشر فصلا، أفضت إلى رصد محاور اهتمام جوهرية تدور أفكارها حول الحقل الاقتصادي والخطوات الإصلاحية التي قطعها الصين، وعرض خصائص ومميزات الاقتصاد الموجه وتحليل تفرعاته بشكل منهجي.

في حين أن القيمة المعرفية المضافة للكتاب تتحدد في دراسته لقضية مستمرة ومتواصلة؛ فالمؤلف تناول الوضع الاقتصادي

على المدى البعيد. فمن ناحية، نجحت الصين في تخطي العقبات بإتباع مبدأ «عبور النهر بتحسس الأحجار»، وشرعت في الماضي قدما على طريق تنمية اقتصادية تتميز بـ«الإصلاح التزايدي»، الذي حقق نجاحا كبيرا في قطاع السلع والخدمات العامة، وعزز احتياجات الصين للتنمية الموجهة نحو السوق وسيادة القانون.

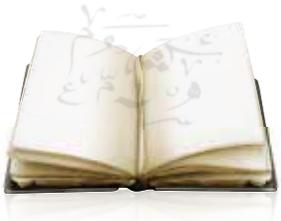
ومن ناحية أخرى، فإنه ونظرا للافتقار إلى التفكير الشامل والإجماع الواسع حول الأسباب الجذرية لعيوب الاقتصاد المخطط، فإن النموذج الاقتصادي الموحد الناتج عن الفكر الاقتصادي القيادي والتأكيد على سيطرة عالية الدرجة للدولة على الاقتصاد قد نال دعما ضمينا وظاهرا على المستوى النظري، وجعل تحكّم سلطة الدولة في المؤسسات والسوق يتوسّع بشكل مفرط من وقت لآخر ارتكازا على الصعوبات والمشاكل المؤقتة التي تعترض عملية الإصلاح الموجهة نحو السوق، مثل تزايد الفجوة بين الأغنياء والفقراء وانتشار الفساد، ما جلب مقاومة كبيرة للإصلاح الموجه نحو السوق وسيادة القانون وبشكل خاص في أوائل القرن الحادي والعشرين. فلم يقتصر الأمر على الإصلاحات الراكدة في أسواق الأراضي ورؤوس الأموال وغيرها، ولكن تشكلت ظاهرة «تقدّم الدولة وتخلف الشعب» في بعض المؤسسات الصناعية في مواجهة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتزايدة التعقيد.

### العبور للمستقبل

ومع ذلك، كما يقول المثل الصيني القديم «ليس كل ما ظاهره سيئ فهو ضار»، فقد دفعت المشكلات الناجمة عن ركود الإصلاحات إلى تشكيل إجماع على أن تعميق الإصلاح هو السبيل الوحيد للعبور للمستقبل، مما دفع المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني في عام 2012 إلى اتخاذ قرار تاريخي متمثل في «اعتنام الفرصة لتعميق الإصلاح في المجالات الرئيسية مع قدر أكبر من الشجاعة السياسية والحكمة».

وفي العام 2013، وضعت الجلسة العامة الثالثة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني خطة رئيسية وتصميما على أعلى مستوى وخريطة طريق لتعميق الإصلاح الشامل، حيث أكدت على تركيز القطاع الاقتصادي على جعل السوق تلعب دورا حاسما في تخصيص الموارد لتعميق الإصلاح الاقتصادي. كما وسّعت الإصلاح ليشمل المجالين الاجتماعي والسياسي، وحددت «ابتكار نظام الإدارة الاجتماعية» و«تحديث نظام الحكم الوطني وقدرة الحوكمة الوطنية» و«تسريع إضفاء الطابع المؤسسي على السياسة الديمقراطية الاشتراكية» كأهداف عامة لتعميق الإصلاح الشامل؛ الأمر الذي فتح صفحة جديدة في مسيرة الإصلاح والتنمية في الصين.

وبحسب المؤلف، فإن عملية الإصلاح الاقتصادي في الصين تشير بوضوح إلى أنه كلما أصبح وضع اقتصاد السوق توجيها وإرشادا للإصلاح الاقتصادي مع فتح الباب أمام استخدام



## مدينة المستقبل.. كيف نريد أن نعيش؟ روبيرت كالتنبرونر وبيتر ياكوبوفسكي

رضوان ضاوي \*

يتعلق موضوع الكتاب «مدينة المستقبل.. كيف نريد أن نعيش؟» بالمدينة الحديثة، وهو تأليف ثنائي لروبيرت كالتنبرونر وبيتر ياكوبوفسكي. وينبع اختيار هذا الكتاب للقراءة والعرض والمراجعة من ازدهار النصوص الأدبية والنقدية والأثربولوجية المكتوبة عن فضاء المدينة، ذلك أن هذا الكتاب يطرح إشكاليات الهوية واللغة، والتعدد الثقافي اللغوي، والاختلاف، والحنين، والبعاد، والسفر، عبر التركيز على أهمية المدينة في الحياة المعاصرة وفي زمن ما بعد الحداثة. وقد تتبع المؤلفان أوصافاً كاملة أو جزئية للمدينة بين فقرات وفصول هذا الكتاب؛ إذ قدّما تصوراتهما عنها للقارئ الألماني، معتمدين على معاينتهما الشخصية ومعرفتهما الخاصة بها، ومدعومين باطلاعهما الواسع على أدب المدينة؛ ذلك أن فصول الكتاب أجمعت على مدى الأهمية الكبيرة التي يشكلها هذا الاهتمام بين الثقافات.

المجتمعات والثقافات، غير أن أشكال هذه الآثار تختلف بحسب السياق. فالفضاء العمومي العربي والإسلامي مهدد مع انهيار الفضاء العمومي التقليدي، لمزيد من العنف والتفكك. إن أهم التحديات التي تواجه هذه المجتمعات هو التحدي المتعلق بإخلاء الفضاءات العمومية من مظاهر التسليح المتنامية، بما أن المدن والمجتمعات والحضارات تتطور من خلال التفاعل المستمر بين القوانين الثقافية لهذه المجتمعات وتعرضها لتحديات داخلية وخارجية جديدة. وهذا ما يمكن أن تبدو عليه «مدينة المستقبل»، خاصة وأن المدن الأوروبية المتنامية، يجب أن تغلب على العديد من المشاكل. يستشهد المؤلفان بكل سرور بالكتابات الفلسفية والتاريخية والاجتماعية إضافة إلى استعمال تجربتهما ومعرفتهما بمجال المدينة لكي يلقيا نظرة نقدية على الحاضر. هكذا خلق الكاتبان قوة دافعة لكتابتهما؛ فنناقشا معاملة المدينة الجديدة الاجتماعية والسياسية للغريب، وفضاءات، ذلك أن مسألة المدينة، أي الفضاء، ليست مسألة مكانية في الدولة فحسب، بل هي حيوية في كيان الفرد الإنساني. إن التعريف الدقيق لتوصيف المجال العام هو في الحقيقة المجال المفتوح (Öffentlichkeit)، وتشكل الهوية في المدينة الجسر الثقافي؛ ذلك أن الفرد -المهاجر على سبيل المثال- لا يريد أن يبقى كياناً على هامش الحياة، والمجتمع، ويريد بالنهاية الحصول على نفس الحقوق مثل الآخرين. إلى جانب كل هذا التفاعل النفسي والروحي، نشأت صور قوية للثقافة الأجنبية وبورتريهات للمدينة وأهم القواعد والأسس التي يمكنه الاستناد عليها في رحلة الفرد مع الثقافات الأجنبية، من أجل فهم حقيقي وواقعي لها؛ ولهذا يراقب المثقفون بقلق كيف ذُبلت القدرة في العصر الحديث على احتمال الغريب في المدينة الحديثة. ومن هنا، جاء طرح المؤلفين لمجموعة من الأسئلة المثيرة للجدل؛ وأهمها: كيف يمكن للمدن حماية الفردانية وفي الوقت نفسه السماح بتجارب مشتركة؟ أي عمارة يمكن أن تخلق إحساساً بمسقط الرأس والبيت؟ كيف يتم إنشاء مساحات عامة تشجع الفرد على البقاء؟ كيف يتم تضمين الملكية الخاصة في التخطيط الحضري؟ كيف يتم تحقيق الحركة اليومية دون الاعتماد على السيارة؟ وكيف تم تخيل

وواضع الخرائط والسياسيون عن الجاذبية الساحرة له، نهضة المدن. لكن المدن رغم تأثيرها الكبير على الحياة الاجتماعية للناس تصطدم دينامياً بتحديات اقتصادية عالمية، وبتغير المناخ والتحول الديمغرافي، بموجات وتيارات الهجرة، والاستقطاب الاجتماعي، وفضاءات التجارة المالية الدقيقة. رغم ذلك يؤكد المؤلفان على أن الخاصية الأساسية للمدينة هي القدرة على الحضور وفي نفس الوقت الغياب؛ فكيف تتعامل المدن مع هذه الدينامية؟ وكيف هو رد فعلها عليها؟ يلاحظ المؤلفان أنه من الأعلى تتغير الجهات السياسية عبر توزيع اللوجيات أو عبر مواصفات تقديم الخدمات وإمكانيات الشكل المحلي، ومن القاعدة السفلى مثلاً الانتظارات المتصاعدة للمواطنين والمواطنات على ضوء المشاركة التي تغير ثقافة السياسة المحلية. وبالنهاية تضمّ كلا الجهتين تحديداً للمسار الجديد حسب القول المأثور لجون ف. كندي: «عندما نهمل مدناً، نعرض الأمة للخطر»، وأيضاً قوله: «يكن المستقبل في المدينة التي لا وجود لها على ما يبدو».

نلاحظ أن مدن المؤلفين -أعني تصورهما للمدينة- لها عدة أوجه: هي أوجه إيجابية في الغالب، لغرض ثقافي تواصلية إيجابي بناء، وليس إبراز الوجه السلبي للمدينة الغربية أو المدينة الشرقية. في كتابهما «أفكار ولزامات/ موتيقات/ في الأدب العالمي» يكتب (هورست وانجريد ديميريش) في موضوع المدينة الآتي: «تعكس فكرة المدينة حيرة الناس إزاء أماكن سكنهم ومؤسستهم، وترمز المدينة، في بعض الأعمال، في تصورات كثيرة، لحالة العضو الذي يطور نفسه».

ويتخيّل المخطط الحضري روبرت كالتنبرونر والخبير الاقتصادي بيتر جاكوبوفسكي مدينة المستقبل الإنسانية بأن يقترحاً عدة أفكار من أجل تحقيق مشروعهما؛ ذلك أن مدناً تصبح قابلة للحياة مجدداً حين تكون خالية من السيارات ومختلطة ومقبولة اجتماعياً، وحيث تظل الإجراءات في متناول الجميع، وتخطيط المدينة الذي يمكن للمواطنين المشاركة فيه عبر الإنترنت. والثقافة الرقمية تتوجه نحو إرساء دعائم مدن ذكية تدار فيها شؤون العباد بواسطة برامج رقمية متطورة، ولثقافة الرقمية الجديدة آثار على الفضاءات العمومية عبر

«لا توجد حياة لا تلعب فيها المدينة دوراً... فالمدينة تجذب إليها الأفكار»، حسب الكاتبة كارن بلكسن؛ فالمدينة على كل حال تشبه جهاز قياس الزلازل للمجتمع. كانت المدن دائماً منطلقاً للتطورات ومدناً تتخذ فيها القرارات المهمة، بالتالي تدور مسيرة العالم حول المجتمع القريب من المدينة. وتفتح المدن باعتبارها مختبرات للحداثة؛ باعتبارها فضاءات تلتقي فيها مراكز المجتمع، على الاقتصاد، والسياسة، والحق، والدين، والتعليم، والفن، والعلم. ففي فضاءات المدينة تجتمع إذن البنيات الاجتماعية، والاختلافات والروتين في مكان واحد. كما أن المدن هي فضاءات تفتح للملاحظ الذي يمتلك حساسية ما نظرة خاصة على الحياة، محيرة وشاعرية.

وتمثل المدينة الأوروبية نموذجاً لمظاهر الربح والخسارة في مدن تاريخية وعالمية مثل أثينا، وروما، ولندن، وباريس، ومديريد، ولشبونة، وفيينا، وموسكو، ووارسو والقدس الشريف، وبراغ وحلب. وتعداد الكاتبتين للكثير من مدن العالم الغربي (وضمنها أيضاً القدس الشريف وحلب العربيتان) في كتابهما إنما هو وسيلة لتوضيح مسألة إدراك أن الحياة في المدن ليست مشكلاً مكانياً أو محلياً خالصاً، فالمدن الكبيرة هي مراكز للاقتصاد الشامل في الأونة الأخيرة. لقد ارتبط «خطاب المدينة» بالهجرة والتجارة والتصنيع، لكنه ارتبط أيضاً بالحروب والانقلابات والأزمات العالمية. ووجود ملايين البشر على الحدود العالمية، ساهم في البلدان النامية في تسريع التمدن إلى درجة أن عدد المدن الكبيرة وصل إلى أكثر من خمسة ملايين نسمة في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية بشكل درامي. ولكن الدراما الحقيقية للتمدن في نظر المؤلفين لا تكاد تجد في التطورات بأوروبا ارتباطات، بل في العوالة التي رفعت عالياً الفصل بين حياة الرفاهية والفقر والأمن والعنف؛ ذلك أن التمدن السريع «الصيني» بمساعدة مهندسين غربيين أظهر بوضوح فقر العالم الثالث ممثلاً في داكار وجاكرتا والقاهرة وجزئياً في ساو باولو؛ حيث يصطدم الفقر والغنى، والمباني الضخمة والسكن العشوائي.

ويرى المؤلفان أن سكان هذه المدن يتجنبون الحديث عن هذا النمى الكبير للمدن ومشاكل المدينة، بينما يتحدث المهندسون



ويستشهد المؤلفان بالعديد من الخبراء: علماء الاجتماع ومخططي المرور، وكذلك الفلاسفة والمحللين النفسيين والمربين والكتاب؛ أي كل الناس الذين يمكن أن يساهموا في نجاح حياة المدينة. هذا يعطي فكرة عما تحتاجه الحياة الجيدة في المدينة: «الكثير من المساحات الخضراء في المدينة»، كما يظهر المؤلفان التطورات التي تنطوي على مشاكل؛ حيث يتم بالفعل تجربة الحلول الجيدة. مثال على حركة الدراجات في كوبنهاجن وكيف يضغط راكب الدراجة على العجلة لكي ينبه السيارات لقدمه. بهذا يقدم الكتاب نداء لمزيد من القوة السياسية والتخطيط الحضري: فلا ينبغي أن يكون المستثمرون والشركات العقارية ومشغلو مراكز التسوق هم وحدهم الذين يقررون تطوير المدن، فالمدن تحتاج إلى مساحة عامة، والتسويق وحده لا يجعل المدينة تستحق العيش. وقد تمت ترجمة كتاب هابرماس في الثمانينيات من الألمانية، والذي جاء بمفهوم المجال العام. وقد تتبع هابرماس تطور تلك المساحة التي ظهرت مع تحولات الرأسمالية ونمو المدن والأسواق ونشأة مساحات تتيح الحوار المجتمعي ومناقشة القضايا العامة؛ لذلك يشير المؤلفان إلى أن الحياة العامة والحضرية هي شيء آخر غير التنزه في أحد مراكز التسوق - التي لم تعد مساحة عامة، ولكنها ملك لشركة تمتلك حقوق المنزل هناك: «هذا هو المكان الذي تظهر فيه بدائل الفضاء العامة التي تستبعد جميع الجوانب السلبية للحياة الحضرية: الطقس وحركة المرور، ولكن أيضا بعض الفئات السكانية، لذلك هذه المساحات لم تعد ملكا للجميع، لا يمكن استخدامها من قبل الجميع؛ لأنه في هذا المفهوم الفضاء هو أن يكون هناك ذلك الذي تم التخطيط له باعتباره قطعة اللغز في قضية تجارية». ويعتبر المؤلفان هذا التطور خطيراً لأن المساحة العامة هي «العمود الفقري لمدننا»، كما يكتب كالتنبرونر وياكوبوفسكي. من الواضح بالفعل أن المدن ستستمر في النمو، ولهذا، ولكل من يريد أن يفهم كيف تتطور المدينة، يوصى بقراءة هذا الكتاب المسلي والمتبصر بقضايا المدينة المستقبلية، فالتخطيط الحضري عمل شاق؛ وبالتالي فإن مدينة المستقبل مصممة في الوقت الحاضر.

– الكتاب: «مدينة المستقبل، كيف نريد أن نعيش؟»  
– المؤلفان: روبرت كالتنبرونر وبيتر ياكوبوفسكي.  
– الناشر: أوفباو، ألمانيا، 2018م، باللغة الألمانية.  
– عدد الصفحات: 364 صفحة.

\* أستاذ اللغة الألمانية - باحث في الدراسات الثقافية المقارنة



لمواقع البناء والمنازل نصف الجاهزة. في الوقت نفسه يتحدث المخططون والسياسيون في المدينة عن جاذبية الجنس ونهضة المدن». ويجلب التحضر معه الصراعات: الشقق أصبحت نادرة ومكلفة، وبعض قطاعات السكان تُجبر على الخروج من أحيائها التقليدية. من ناحية أخرى، التحضر هو أيضا فرصة، وما يمكن بناؤه، يمكن أيضاً تصميمه. واهتمام المؤلفين بالمدينة حضري وتحول في ثقافة أوروبا؛ إذ هما يقومان بنقد ذاتي ونقد للآخر في ذات الوقت. وقد حرص المؤلفان على التطرق للخطاب الحدائث للمدينة الأوروبية والعالمية في نصوص بالألمانية، وفي جميع الأحوال فإن الكاتبين قد وفقا إلى حد كبير في تقديم إشارات دالة وعميقة عن مضمون الكتاب، وعلاقة المدينة بالحداثة والمجتمع المعاصر، في إطار الانفتاح على الثقافات والدعوة إلى التمسك بأواصر العيش المشترك، والذي يمثله قطبان: قطب مدن السكان الأصليين يمثله في برلين وفيينا وأثينا وباريس وحلب والقدس ومراكش ومدن عالمية أخرى، وقطب مدن المهاجرين والوافدين على هذه المدن العالمية.

ويعمل كل من المهندس المعماري روبرت كالتنبرونر والخبير الاقتصادي بيتر جاكوبوفسكي في المعهد الاتحادي للبناء والبحث الحضري والإقليمي. في كتابهما، يقدمان أولاً قائمة جرد شاملة، ويحللان العناصر الحضرية: إنها أماكن حضرية ذات جودة عالية، لكن مخططي النقل أعطوا السيارة دائماً أولوياتهم، ويجب أن تعمل البنية التحتية بشكل موثوق، وهذه هي حياة المدينة الناجحة: «في الهندسة الحضرية، على الرغم من السرية، هناك قوة دافعة حاسمة وراء التحضر... حالات المقاطع العرضية للقنوات، وفوانيس الغاز وشبكات الطاقة، ومحطات الضخ، والمجاري، وبناء أنظمة شعاعية: هذه كلمات أساسية - ليس فقط في التاريخ، ولكن أيضا لمستقبل المدينة». التحليل الذي قدمه روبرت كالتنبرونر وبيتر جاكوبوفسكي متعدد التخصصات في مجالات الهندسة المعمارية والتخطيط الحضري والاقتصاد ويستفيد من تجربة التاريخ المعماري.

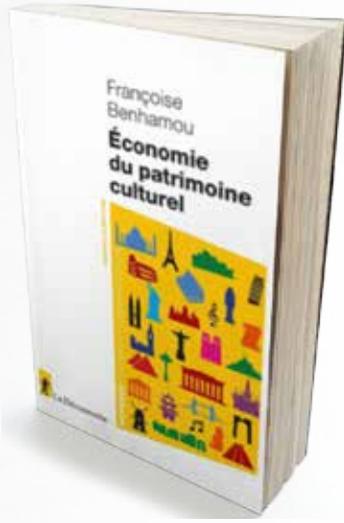
مدينة المستقبل؟ وكيف تصورها المؤلفان في هذا الكتاب؟ كيف ينبغي أن تبدو مدن المستقبل؟ وكيف يمكن أن تظل الشقق في متناول الجميع؟ وما الذي يجب أن تبدو عليه خطط الأرضية للعائلات وكبار السن أو الطلاب؟ ماذا يفعل المرء حيال تلوث الهواء وازدحام حركة المرور؟

أسئلة المدينة الجديدة بدأت تزج كيانها خاصة ما يعترى مدينة اليوم من سحب العادم والضوضاء والاختناقات المرورية ومسارات الدراجات المتوقفة وممرات المشاة. وقد كان الجواب واضحاً عند المؤلفين: من التحسين إلى المساحات الخضراء. ويستخدم المؤلفان أمثلة فردية لإظهار كيف يمكن إجراء تغييرات. ويشدد كالتنبرونر وياكوبوفسكي على أن المدينة الصديقة للناس يجب أن تودع السيارة وتطور وسائل النقل العام وتعطي الأولوية للمشاة وراكبي الدراجات، وإنشاء الأرصفة التي تعبر التقاطعات بنفس الارتفاع؛ بحيث يتعين على السيارات عبور العتبة، وتقليل مخاطر حوادث المشاة. وبالإضافة إلى ذلك، هناك حاجة ماسة لاستعادة المساحة والأماكن العامة لسكان، ذلك أنه لا يوجد نقص في المبادرات التي تتطلب «الحق في المدينة»؛ وتشمل هذه الحدائق المجتمعية وإعادة التطوير الحضري، والإيجار بأسعار معقولة بدلاً من الوحدات السكنية باهظة الثمن. فالمطلوب دائماً هو كيفية التوفيق بين الاقتصاد والإسكان، وكيفية الحفاظ على التعددية الثقافية، أو ما إذا كانت ثقافة الأحداث، مثل المراثيون أو المهرجانات العامة والشعبية، تؤدي إلى شعور جديد بالمدينة.

ويشير هذا الكتاب الإعجاب ويقنع الباحث عن المدينة ومشكلاتها، ويمتدح المؤلفان في هذا الصدد عن تقديم نموذج للمدينة الذكية مع الإشارة إلى الوعد الرقمي للمستقبل، فيشيران بذلك الشكوك تجاه «المدينة الذكية»: إذ يعربان عن قلقهما البالغ بشأن ما إذا كان يمكن تحقيق هذه الخطوات الصغيرة التي تؤدي إلى تعايش اجتماعي أفضل، وإلى تضامن حضري، عن طريق التعاون السلس بين الإدارة والمواطنين. ويقدم المهندس المعماري روبرت كالتنبرونر والخبير الاقتصادي بيتر جاكوبوفسكي رؤيتهما للحياة في المدينة؛ حيث يقولان إن عدداً أكبر من الناس يعيش في المدن أكثر من المناطق الريفية. وتظل المدن التي تنمو وتتكاثر أماكن الجذب وأماكن الشوق. لكن الأمر يكون مختلفاً في أغلب الأحيان، فرغم «التحضر عالي السرعة» الصيني، كما يسميه روبرت كالتنبرونر وبيتر جاكوبوفسكي، توجد «بساتين الفقر في العالم الثالث»؛ حيث تصطدم الأحياء الفقيرة والأحياء الفاخرة. ولا شك أن السرعة المفرطة في تشييد عواصم وضواحي جديدة، في بعض البلدان العربية، سينقل التفكير بشأن المجال العام ومستوياته الطبقيّة والسياسية... خاصة مع أفول المساحات القديمة للمدن الكبرى - وأن خلق مدن موازية جديدة بتخطيط يسيطر على إدارته السياسية مخيال سياسي جديد. فالعديد من مدننا القديمة التقليدية تواجه طفرات نمو جديدة، وفقاً للمؤلفين: «في فرانكفورت، أو كولونيا، أو ميونيخ، أو برلين، تثير حمى البناء الحالية الروعة الجريئة في العديد من المقاطعات التي استقرت في هذه الأثناء. هناك مناظر طبيعية جديدة

# إصدارات عالمية جديدة

ك تقنية للسلطة، يحاول لودجر شوارت تحديد دورها في حركات التحرر. إذا تصورنا المساحات العامة على أنها مسارح للعمل الجماعي، فإن السؤال هو معرفة ما إذا كان مظهرها الخارجي يسمح بالتفاعلات المدفوعة بالحدث، والتجارب الإبداعية. وبهذا المعنى، فإن أي مساحة عامة أصيلة هي فوضوية في الأساس. يطرح الكتاب عددا من الأسئلة الجديدة والمثيرة المرتبطة بالهندسة المعمارية وخلفياتها الفكرية والسياسية.



الكتاب: اقتصاد التراث الثقافي  
المؤلف: فرانسواز بنحمو  
الناشر: دار لا ديكوفيرت. فرنسا.  
تاريخ النشر: ٢٠١٩  
عدد الصفحات: ١٢٨ ص  
اللغة: الفرنسية

التراث الثقافي هو موضوع شغف جماعي، ولكنه أيضًا هدف هجمات فظيعة. فقد استمر مجاله في التوسع، فأصبح له بعد غير مادي ورمزي يحدد قيمته. يتيح التحليل الاقتصادي للتراث استكشاف محددات الطلب، وقياس تكاليف الحفظ والعرض على الجمهور، وتقييم أهمية المساعدة المقدمة لأصحاب الآثار الخاصة المحمية. ويبين أن طرق التمويل لا تختلف أبدًا عن استراتيجيات المؤسسات الثقافية. يبرز هذا الكتاب الهام ويناقش أهمية الفوائد الاقتصادية للتراث. إذ تصف الباحثة وتحلل سياسات التراث في بعدها الدولي. وما بين التراث المتبقي والتراث المهدد بالانقراض، بسبب الاستعمال العشوائي والإهمال وآثار الحروب. لهذا يجب أن يكون التراث جزءًا من الاهتمام الاقتصادي للمؤسسات الراعية. فلا ينبغي أن يكون مصدر ازدياد أو مبالغة.

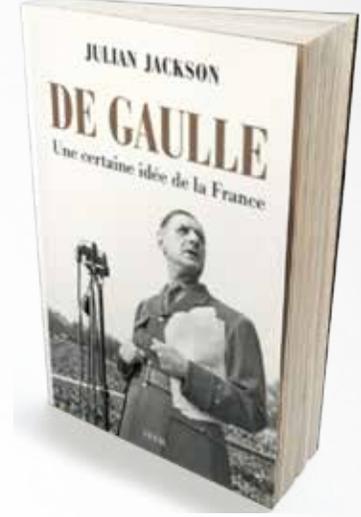
ضوء أسئلة الماضي، التي يستعيدتها بطريقة حية وبشكل غير عادي، تلك التي تشغلنا اليوم - وخاصة التاريخ الاستعماري لأوروبا، وبالتحديد فرنسا وعلاقتها بمستعمراتها، ولكن أيضا كيفية تشكيل وآليات اشتغال مؤسسات الجمهورية الخامسة. يعتبر جوليان جاكسون، من أبرز المتخصصين في تاريخ فرنسا في القرن العشرين، يعمل حاليا أستاذ التاريخ في جامعة ماري كوين بجامعة لندن. يوجد كتابه الجديد ضمن قائمة الكتب الأكثر مبيعا، لهذا العام في بريطانيا، كما توجت سيرته عن دوغول بجائزة دوف كوبر المرموقة.



الكتاب: فلسفة الهندسة المعمارية  
المؤلف: لودجر شوارت  
الناشر: دار لاديكوفيرت. فرنسا.  
تاريخ النشر: ٢٠١٩  
عدد الصفحات: ٥٧٦ ص  
اللغة: الفرنسية

بعيدا عن النظريات الكلاسيكية التي تتبع التاريخ بالعودة إلى أفلاطون أو فيتروفوس، تقترح هذه المقالة المبتكرة فلسفة سياسية - وليست جمالية أو رمزية فقط - للهندسة المعمارية. وانطلاقا من ملاحظة أولية أن الثورة الفرنسية وقعت في الشوارع والساحات التي بنيت قبل أقل من قرن من الزمان، وأن الجماهير الثورية لا يمكن أن تتجمع، إذا لم تكن هذه الأماكن العامة الجديدة موجودة سلفا. يتساءل الكاتب عن الظروف المعمارية للديمقراطية: ما هي أنواع المساحات التي تجعل أنواعا معينة من الأفعال أو الأحداث ممكنة أو مستحيلة؟ وحيث نتعلم أن مسار التاريخ يعتمد على بناء الفضاء... حيث درس ميشيل فوكو الهندسة المعمارية

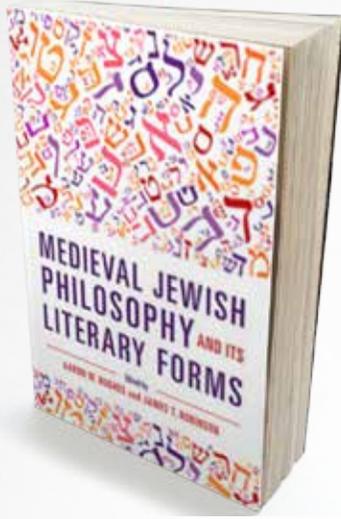
آخر الإصدارات في اللغة الفرنسية  
(سعيد بوكرامي)



الكتاب: دوغول: فكرة عن فرنسا  
المؤلف: جوليان جاكسون  
الناشر: دار سوي. فرنسا.  
تاريخ النشر: ٢٠١٩  
عدد الصفحات: ٩٩٢ ص  
اللغة: الفرنسية.

بالاعتماد على مجموعة كبيرة جدًا من المحفوظات والمذكرات، يستكشف جوليان جاكسون جميع أبعاد لغز شخصية دو جول، ودون محاولة إعطائه انسجاما أو مديحا مفرطًا. لم يسبق أن وصف أحد من قبل مفارقاته وغموضه وموهبته السياسية وشغفه بالتكتيكات وبرامته وشعوره بالمستحيل، التي اتسمت بقدر كبير من الحدة والذكاء. هناك اقتباسات وافرة، مبهرة بالذكاء، والفكاهة، وفي بعض الأحيان مفعمة بالمكر، يستعيد الكتاب كلمات دوغول ولكن أيضًا تعليقات تشرشل وجميع أولئك الذين تعرفوا عليه، من الذين ارتابوا منه أو الذين أثار استياءهم نظرا لشخصيته الانتقامية، جحوده أو استفزازاته ... يقدم جوليان جاكسون درسا بليغا في طريقة كتابة السيرة الخيرية. لا توجد تفاصيل عديمة الفائدة هنا وأي من عيوب كتابة السيرة الشائعة في السير العالمية التجارية، حيث يضع المرء بين متاهات الإثارة والفضائح والوقائع المملقة، ربما يعود السبب إلى كتابة جوليان المتوترة دائمًا التي لا تهادن في الكشف عن الحقيقة، والمرتبطة دائما بالأوضاع السياسية والفكرية والاجتماعية والتكوينات الجيوسياسية التي تضيء فعلاً مراحل حياة الجنرال دوغول. يعيد جوليان جاكسون قراءة هذه الأسطورة السياسية الاستثنائية وعلاقتها بفرنسا في

# إصدارات عالمية جديدة



إلى مدرسة كيوتو الشهيرة، والفيلسوف الإيرلندي وليام ديسموند - الأول بوذي والثاني مسيحي - وذلك في شأن تفكيرهما معا في الصلة بين العقل والإيمان؛ ساعيا بذلك إلى إجراء المحاوره بين نصوص هذين الفيلسوفين المنتميين إلى تقليدين فلسفيين مختلفين. مما يجعل الكتاب أحد أهم المصادر المعاصرة في ما بات يعرف اليوم باسم الفلسفة المقارنة.

تعتبر فرانسواز بنحو من بين أبرز المتخصصين في علم اقتصاد التراث، هي الآن أستاذة جامعية وعضو في دائرة الاقتصاديين. كما تدرس في عدد من الجامعات الأجنبية. وعملت في مجلس إدارة متحف اللوفر. وهي عضو في اللجنة العلمية لقسم الدراسات والإحصاءات المستقبلية بوزارة الثقافة الفرنسية. وتترأس (المركز الوطني للكتاب)، ولجنة الأخلاقيات في إذاعة فرنسا واللجنة الاستشارية لبرامج قناة آر تي. وهي مؤلفة للعديد من المقالات والكتب والتقارير حول اقتصاديات الثقافة والإعلام.

## آخر الإصدارات في اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)



عنوان الكتاب: الفلسفة اليهودية الوسيطة وأشكالها الأدبية  
المؤلف: تأليف جماعي  
دار النشر: مطابع جامعة إنديانا  
سنة النشر: ٢٠١٩  
ملخص الكتاب:

من مزايا هذا الكتاب الجماعي أنه يعرض الفلسفة اليهودية في العصر الوسيط في إطار سياقها التاريخي. أكثر من هذا، لا يركز هذا الكتاب على الشكل الاستدلالي البرهاني الذي اعتاد عليه الفلاسفة اليهود اتباعا لسنة أرسطو، وإنما يفتح على الأشكال التعبيرية الأخرى التي صاغ وفقها الفلاسفة اليهود فلسفاتهم؛ بشأن الأشعار والأمثولات والقصص الرمزية ذات المنحى الفلسفي. ويركز الكتاب على التعالقات التي أقامها الفلاسفة اليهود الوسيطيون بين ما هو أدبي شكلا وما هو تفسيري للنص الديني وما هو فلسفي محض وما هو صوفي بحت، مبرزاً بذلك عناصر الإبداع والجدة في هذه الفلسفة التي لطالما اعتبرت تابعة للنموذج الفلسفي الإغريقي وعدت مقلدة للنموذج الفلسفي الإسلامي. وقد نظر الباحثون في أمر طريقة صياغة الاستدلالات عند الفلاسفة اليهود الوسيطيون، وفي أمر كيفية توظيف النصوص حتى تخدم الفكرة الفلسفية، كما نظروا في كيف أثرت الحثيات الاجتماعية والحضارية في الكتابة الفلسفية اليهودية الوسيطة.

عنوان الكتاب: المؤنس في فلسفة الشر  
المؤلف: تأليف جماعي  
دار النشر: راوتليدج  
سنة النشر: ٢٠٠٩  
ملخص الكتاب:

عرف الفلاسفة باهتمامهم بمسألة الخير أكثر مما عرفوا بنظرهم في مسألة الشر. لكن، لماذا علينا أن نهتم بفهم مفهوم "الشر"؟ جواب المسألة بمثابة سؤال استنكاري: ألا نسمع بعالمنا اليوم وقد امتلأ امتلاءه بالكثير من الشرور؟ ألا نتحدث الجائبات عن الشر المستحكم في النفس البشرية مهما بلغت هي من تحضر ومن تقدم؟ يقدم هذا الكتاب مساهمة إضافية في فهم مفهوم "الشر" وتجلياته في العالم المعاصر. ويتكون من ٢٧ فصلا لباحثين متخصصين في مسألة الشر في القديم والحديث. وهو مقسم إلى أبواب ثلاثة: ١- استكشافات تاريخية في مفهوم الشر. ٢- استكشافات حديثة دنيوية في مفهوم الشر. ٣- الشر وقضايا أخرى. ويحاول الكتاب الجمع بين مقاربتين: مقارنة فلسفة الأخلاق ومقاربة فلسفة علم النفس. كما يطرح مسألة الشر في ما وراء حدود الاستقصاء الفلسفي؛ أي في الأدب والسياسة والدين.



عنوان الكتاب: الإيمان والعقل في الفلسفة القارية واليابانية  
المؤلف: تاكيشي موريزاتو  
الناشر: بلومسبوري أكاديميك  
سنة النشر: ٢٠١٩  
ملخص الكتاب:

جرت العادة في الأدبيات الفلسفية المعاصرة على أن تتم المقابلة والمقارنة بين الفلسفة القارية، من جهة، والفلسفة الأنجلوسكسونية، من جهة أخرى، وذلك في كل مباحث الفلسفة: من فلسفة المعرفة إلى فلسفة الأخلاق. لكن ميزة هذا الكتاب تكمن في أمرين: اختياره المقابلة والمقارنة بين الفلسفة القارية والفلسفة اليابانية، وإيثاره أن تكون هذه المقارنة في ميدان قلما تم التعريف به عند اليابانيين - وهو مجال فلسفة الدين. وهكذا، يواجه المؤلف بين وجهين مهمين - وفي نفس الوقت غير معروفين - من وجوه الفلسفة المعاصرة: الفيلسوف الياباني تاناهاشي هاجمي، الذي ينتمي

# حالياً في الأسواق..

## مجلة التفاهم

عنوان العدد: **مناهج الصلاح الإنساني ومشكلات الفساد**

عبد الرحمن السالمي

### مدن وثقافات

- الارتحال والتسامح (القسطنطينية في أعين الرحالة العرب)  
عبد الله إبراهيم

### الإسلام والعالم

- الصراع على دراسات الإسلام في أميركا  
إعداد: رضوان السيد

### المحاور

- القرآن الكريم: في الإصلاح الإنساني والاجتماعي - عبد المالك أشهبون  
- الرسائل النبوية بوصفها إصلاحاً في ضوء الكتاب والسنة - محمد المنتار  
- السياسة والسياسة الشرعية في الأزمنة الوسيطة - رضوان السيد  
- مقولة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الصّلاح والإصلاح - محمد أحمد قنديل  
- إشكاليات العلاقة بين التقدّم العلمي والتقدّم الإنساني - أحمد عبد الفتاح  
- الفلاسفة المعاصرون ودور الدين في زمن ما بعد الحداثة - محمد الشيخ  
- مقولات ومقاييس النجاح والازدهار في الدول المعاصرة - قراءة نقدية - رشيد الحاج صالح  
- المدن بحسبانها مقاييس للاندماج في المجال - نتاليا زادنوفسكا  
- القيم الخلقية والدينية وإشكاليات الإطلاق والنسبية في المجال العالمي - رشيد جرموني  
- الرؤية التداولية عند الفلاسفة المعاصرين وكيفيات تجاوز الجمود الراهن - محمد أوبلوش  
- المرجعيات السيميوطيقية والإبستمولوجية والأيدولوجية لمفهوم الدولة الفاشلة  
مجدي الجزيري

### دراسات

- التكامل المعرفي بين الفلسفة وعلم الكلام وعلم أصول الفقه من خلال المفاهيم الرحالة  
(مفهوم العلة أنموذجاً) - بلال شيبوب  
- نظرية النظم بين عبد القاهر الجرجاني والحاكم الجشمي - خالد عمر الدسوقي

### وجهات نظر

- المؤسسات الدينية والمسؤوليات المشتركة في ضوء السلم العالمي - عبد الرحمن السالمي  
- الثقافة بمنظور إسلامي مختلف - محمود الذواوي

### آفاق

- التسامح وإرادة الشك عند برتراند راسل - أحمد بوعود



النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها.

مجلة التفاهم هاتف: ٢٤٦٤٤.٣١ - ٢٤٦٤٤.٣٢ ، فاكس: ٢٤٦٠٥٧٩٩ +٩٦٨

البريد الإلكتروني: www.altafahom.net - al.tafahoom@gmail.com - tasamoh@gmail.com